فكُلًّا أخذنا بذنبه

□ فكُلًّا أخذنا بذنبه □

○ ابن هانئ الشاعر ○

أحد الشعراء الفجرة ، وشاعر المعز العبيدي الفاطمي .

كان يقول للمعز :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهّار

وقال له أيضًا :

ندعوه منتقمًا عزيزًا قادرًا ... غفار موبقة الذنوب

وقال فيه أيضًا :

رأيتك من ترزقه يُرزقْ من الورى ... دراكًا ومَنْ تحرم من الناس يُحرمِ

وقال فيه أيضًا :

أدار كما شاء الورى وتحّيزت ... على السبعة الأفلاك أنمله العشر

وقال في هذا القزم أيضًا :

أرى مدحه كالمدح لله إنه ... قنوت وتسبيح يحط من الوزر[1]

وقال أيضًا ، قبحه الله وأخزاه :

ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريل

ومن ذلك قوله – قال ابن الأثير ولم أرها في شعره ولا في ديوانه :

حلَّ برقادة المسيح ... حلَّ بها آدم ونوح

حلّ بها الله ذو المعالي ... فكل شيء سواه ريح

فهل أغنى عنه المعزّ ؟

قال ابن كثير : استصحبه المعز الفاطمي من بلاد القيروان حين توجه إلى

(١) عصر الدول والإمارات شوقي ضيف (ص ٢٤٤ ، ٢٤٦) .

مصر ، فمات ببعض الطريق ، وجد مقتولًا على حافة البحر في رجب سنة ٣٦٢هـ[١].

ومما قيل في محمد بن هانئ أيضًا :

خرج من القصر فأصيب بمرض ، فكان يعوي كالكلب على فراشه ، ويقول : أنت الواحد القهار ، وأخذ يبكي ويقول :

أبعين مفتقر إليك نظرت لي فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لأنني علقت آمالي بغير الخالق[٢]

من آثر غير الله عُذب به... غضب عليه المعز... وقتل في النهاية والجزاء من جنس العمل .

○ أحمد بن أبي دؤاد الإيادي ○

المعتزلي قاضي المعتصم ؛ الذي جرّ البلاد إلى محنة خلق القرآن ، وبسببه أهين علماء الأمة وعذبوا وسجنوا وقتلوا .

يقول الشاعر أبو حجاج الأعرابي فيه :

نكست الدين يابن أبي دؤاد فأصبح من أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقا أما لك عند ربك من معاد
كلام الله أنزله بعلم على جبريل إلى خير العباد
ومن أمسى ببابك مستفيضًا كمن حلّ الفلاة بغير زاد
لقد أطرفت يابن أبي دؤاد بقولك إنني رجل إيادي

هذا الذي تكلم في عقيدة أهل السنة وشانها ، وتكلّم في أحمد بن حنبل وعاب معتقده .

يقول الحسين الكرابيسي : مثل الذين يذكرون أحمد بن حنبل ، مثل قوم يجيئون إلى أبي قبيس يريدون أن يهدموه بنعالهم[٣].

---

(١) البداية والنهاية (١١ / ٢٩٢) . (٢) احفظ الله يحفظك (٤٩) .
(٣) البداية والنهاية (١٠/٣٣٥) .

وقال الشاعر فيمن يذمون إمام أهل السنة :

فقل للأُلى يَشنَوْنَه لصلاحه وصحته والله بالعذر يعذرُ

جُعلتم فداءً أجمعين لنعله فإنكم منها أذل وأحقر

أريحانة القرّاء تبغون عثرة وكلكم من جيفة الكلب أقذرُ(١)

بسبب ابن أبي دؤاد هذا قتل أحمد بن نصر الخزاعي وسجن الإمام أحمد وعذب بالسياط ، ودعا عليه الإمام أحمد ؛ فحبسه الله في جسده كما حبس الإمام ، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكناني ، وقال له : لم آتك عائدًا، بل لأحمد الله أن سجنك في جلدك(٢).

قال ابن كثير : ابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحًا في فراشه ، لا يستطيع أن يحرك شيئًا من جسده ، وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك(٣) . جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع ، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس بها .

وقد دخل عليه بعضهم فقال : والله ما جئتك عائدًا ، وإنما جئتك لأعزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كلّ سجن ، ثم خرج عنه داعيًا عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه ، فازداد مرضًا إلى مرضه . وقد صودر في العام الماضي سنة ٢٣٨ بأموال جزيلة جدا ، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل . وكذا ابنه أبو الوليد محمد ، صودر بألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ومات قبل أبيه بشهر(٤).

وقال في مكان آخر : في سنة سبع وثلاثين ومائتين في ربيع الأول ، أمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دؤاد ، وأخذ ابنه أبا الوليد محمد فحبسه

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٥٩٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ١٧٠ - ١٧١) .

(٣) انظر البداية والنهاية (جـ١٠/ ٣٣٦، ٣٢٩، ٣٣٥) .

(٤) البداية والنهاية (١٠ / ٣٣٦) .

في يوم السبت ، لثلاث خلون من ربيع الآخر ، وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف وعشرين ألف دينار . ومن الجواهر النفيسة ما يقوّم بعشرين ألف دينار ، ثم صولح على ستة عشر ألف ألف درهم ، ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين ، قال ابن جرير : فقال في ذلك أبو العتاهية :

لو كنت في الرأي منسوبًا إلى رشد ... وكان عزمكَ عزمًا فيه توفيقُ
لكان في الفقه شغل لو قنعت به ... عن أن تقول كتاب الله مخلوقُ
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ... ما كان في الفرع[1] لولا الجهل والموق[2]

انظر كيف أذله الله وحبسه في جسده ، وأهين قبل موته ، والجزاء من جنس العمل .

قال الإمام أحمد : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز حين تمر .

فلما مات إمام أهل السنة كانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ المسلمين .

قال عبد الوهاب الورّاق : ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكثر منهم على جنازة أحمد بن حنبل إلا جنازة كانت في بني إسرائيل[3] . ولما أنزلت رأس أحمد بن نصر من على الصليب كان يومًا مشهودًا وصدّق الله قول أحمد ، فأحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه . ولمّا مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان[4] ، جزاءً وفاقًا .

○ محمد بن عبد الملك الزيات ○

كان من العصبة التي كان لها يد في سجن علماء الأمة وتعذيبهم ، وعلى رأسهم إمام أهل السنة.

روى الطبري في تاريخه ، عنه :

---

(١) ليس في الفرع والله ، فإنه في صلب العقيدة وفي باب الصفات .

(٢) الموق : الحمق في غباوة .

(٣) مناقب الإمام أحمد ص ٥٠٤ .

(٤) البداية والنهاية (١٠ / ٣٥٦) .

أمر بتنور من خشب فيه مسامير حديد قيام ، فذكر عن ابن أبي دؤاد وأبي الوزير أنهما قالا : هو أول من أمر بعمل ذلك ، فعذب به ابن أسباط المصري حتى استخرج منه جميع ما عنده ، ثم ابتلي به فعذب به أيامًا[1] .

وقال الذهبي في ترجمته :

وكان يقول بخلق القرآن ، ويقول : ما رحمت أحدًا قط ، الرحمة خور في الطبع ، فسجن في قفص حَرِج ، جهاته مسامير كالمَسالّ ، فكان يصيح ارحموني ، فيقولون : الرحمة خور في الطبيعة[2] .

الجزاء من جنس القول والعمل :

عن مسعر بن محمد بن وهب ، وكان مؤدبًا للخليفة المتوكل قبل أن يلي الخلافة :

جلس- المتوكل- في مجلسه، وجلس عن يمينه الفتح بن خاقان وعبيد الله ابن خاقان ، وعن يساره بغا الكبير ووصيف ، وأنا واقف في زاوية البيت اليمنى مما يليه ، وخادم آخذ بعضادة الباب واقف ، إذ ضحك المتوكل فأرم القوم وسكتوا ، فقال : ألا تسألوني مم ضحكت ، فقالوا : مم ضحك أمير المؤمنين أضحك الله سنه ؟ فقال : أضحكني أني ذات يوم واقف على رأس الواثق ، وقد قعد للخاصة في مجلسي الذي كنت فيه جالسًا ، وأنا واقف على رأسه ، إذ قام من مجلسه فجاء حتى دخل هذا البيت الذي دخلته فجلس في مجلسه هذا ، ورمت الدخول فمنعت ووقفت حيث الخادم واقف ، وجلس ابن أبي دُؤاد في مجلسك يا فتح ، وجلس محمد بن عبد الملك الزيات في مجلسك يا عبيد الله ، وجلس إسحق بن إبراهيم في مجلسك يابغا ، وجلس نجاح في مجلسك يا وصيف ، إذ قال الواثق : والله لقد فكرت فيما دعوت الناس إليه ، من أن القرآن مخلوق ،

---

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٢٩٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ١٧٣) .

وسرعة إجابة من أجابنا ، وشدة خلاف من خالفنا ، حتى حملنا من خالفنا على السوط والسيف والضرب الشديد والحبس الطويل ، ولا يردعه ذلك ولا يرده إلى قولنا فوجدت من أجابنا رغب فيما في أيدينا ، وأسرعِ إلى إجابتنا رغبةِ فيما عندنا ، ووجدت من خالفنا منعه دين وورع عن إجابتنا وصبر على ما يناله من القتل والضرب والحبس ، فوالله لقد دخل قلبي من ذلك أمر شككت فيما نحن فيه ، وفي محنة من نمتحنه ، وعذاب من نعذبه في ذلك ، حتى هممت بترك ذاك والكلام والخوض فيه ، ولقد هممت أن آمر بالنداء في ذلك وأكف الناس بعضهم عن بعض ، فبدأ ابن أبي دؤاد فقال : الله الله يا أمير المؤمنين ! أن تميت سنة قد أحييتها ، وأن تبطل دينا قد أقمته ، ولقد جهد الأسلاف فما بلغوا فيه ما بلغت ، فجزاك الله عن الإسلام والدين خير ما جزى وليا من أوليائه .

ثم أطرقوا رؤوسهم ساعة يفكرون في ذلك ، إذ بدأ ابن أبي دؤاد - وخاف أن يكون من الواثق في ذلك أمر ينقض عليه ، ويفسد عليه مذهبه . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إن هذا القول الذي نحن عليه ، ندعو إليه الناس لهو الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله ، وبعث به محمدًا نبيه ﷺ ولكن الناس عمُوا عن قبوله . فقال الواثق : فإني أريد أن تباهلوني على ذلك ، فقال ابن أبي دؤاد : ضربه الله بالفالج في دار الدنيا قبل الآخرة ، إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقّا من أن القرآن مخلوق .

وقال محمد بن عبد الملك الزيات : وهو ، فسمر الله يديه بمسامير من حديد في دار الدنيا قبل الآخرة ، إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقّا من أن القرآن مخلوق .

فقال إسحق بن إبراهيم : وهو ، فأنتن الله ريحه في دار الدنيا حتى يهرب منه حميم وقريب ، إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًا من أن القرآن مخلوق .

وقال نجاح : وهو ، فقتله الله في أضيق محبس إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق .

ودخل عليهم إيتاخ وهم في ذلك فأخذوه على البديهة وسألوه عن ذلك ، فقال : وهو ، فغرقه الله في البحر إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق .

وقال الواثق : وهو ، فأحرق الله بدنه بالنار في دار الدنيا قبل الآخرة ، إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق .

فأضحك ، أنه لم يدع أحد منهم يومئذ بدعوة على نفسه إلا استجيبت .

أما ابن أبي دؤاد : فقد رأيت ما نزل به ، وما ضربه الله به من الفالج .

وأما ابن الزيات : فأنا أقعدته في تنور من حديد ، وسمرت يديه بمسامير من حديد .

وأما إسحق بن إبراهيم : فإنه مرض مرضه الذي مات فيه ، فأقبل يعرق عرقا منتنا حتى هرب منه الحميم والقريب ، وكان يلقى عليه كل يوم عشرون غلالة فتؤخذ منه ، وهي مثل الجيفة فيرمى بها في دجلة لا ينتفع بها ، تتقطع من شدة النتن والعرق .

وأما نجاح ، فأنا بنيت له بيتا ، ذراعًا في ذراعين حتى مات فيه .

وأما إيتاخ : فأنا كتبت إلى إسحق بن إبراهيم وقد رجع من الحج ، كبله بالحديد وغرقه .

وأما الواثق : فإنه كان يحب النساء وكثرة الجماع ، فوجه ذات يوم إلى ميخائيل الطبيب ، فدعي له ، فدخل عليه وهو نائم في مشرفة وعليه قطيفة خز ، فوقف بين يديه فقال : يا ميخائيل ابغني دواء للباءة . فقال : يا أمير المؤمنين بدنك فلا تهده ، فإن كثرة الجماع تهد البدن ، ولا سيما إذا تكلف الرجل ذلك ، فاتق الله في بدنك وأبق عليه ، فليس لك من بدنك عوض . فقال له : لا بد منه ثم رفع القطيفة عنه ، فإذا بين فخذيه وصيفة قد ضمها إليه ، ذكر من جمالها وهيئتها أمرًا عجبًا . فقال : من يصبر عن مثل هذه ؟ قال : فإن كان ولا بد فعليك بلحم السبع ، فأمر أن يؤخذ لك منه رطل فيغلى سبع غليات بخل خمر عتيق، فإذا جلست على شرابك أمرت أن يوزن لك منه ثلاثة دراهم فانتقلت

به على شربك في ثلاث ليال ، فإنك تجد فيه بغيتك ، واتق الله في نفسك ولا تسرف فيها ولا تجاوز ما أمرتك به .

فلهي عنه أيامًا ، فبينا هو ذات ليلة جالس على شرابه إذ ذكره فقال : عليّ بلحم السبع الساعة فأُخرج له سبع من الجبّ وذبح من ساعته ، فأمر فكبكب له منه ، ثم أمر فأُغلي له منه بالخل ، ثم قدر له منه ، فأخذ ينتقل به على شرابه ، وأتت عليه الأيام والليالي فسقى بطنه ، فجمع له الأطباء ، فأجمع رأيهم على أنه لا دواء له إلا أن يَسجر تنور بحطب الزيتون ، ويشحن حتى يمتلىء جمرًا، فإذا امتلأ كسح ما في جوفه فألقي على ظهره وحشي جوفه بالرطبة ، ويقعد فيه ثلاث ساعات من النهار ، فإن استسقى ماء لم يسق ، فإذا مضت ثلاث ساعات كوامل أخرج منها وأجلس جلسة منتصبة على نحو ما أمروا به ، فإذا أصابه الروح وجد لذلك وجعًا شديدًا وطلب أن يرد إلى التنور فترك على حالته تلك ولا يرد إلى التنور حتى تمضي ساعتان من النهار ، فإنه إذا مضى ساعتان من النهار جرى ذلك الماء وخرج من مخارج البول ، وإن سقى ماء أو رُدَّ إلى التنور كان تلفه فيه .

فأمر بالتنور فأخذ له ، وعري وأجلس فيه ، وأقبل يصيح ويستغيث ويقول : أحرقتموني اسقوني ماء ، وقد وكل به من يمنعه الماء ولا يدعه أن يقوم من موضعه الذي أقعد فيه ولا يتحرك . فتنفط بدنه كله فصارت فيه نفاخات مثل أكبر البطيخ وأعظمه ، فترك على حالته حتى مضت له ثلاث ساعات من النهار ، ثم أخرج وقد كاد يحترق ، أو يقول القائل في رأي العين قد احترق ، فأجلسه المتطببون ، فلما وجد روح الهواء اشتد به الوجع والألم وأقبل يصيح ويخور خوار الثور ويقول : ردوني إلى التنور فإني إنْ لم أردَّ مِتُّ فاجتمع نساؤه وخواصه لما رأوا به من شدة الألم والوجع وكثرة الصياح فرجوا أن يكون له فرجة في أن يرد إلى التنور ، فردوه إلى التنور ثانية ، فلما وجد مس النار سكن صياحه وتفطرت النفاخات التي كانت خرجت ببدنه وخمدت ، وبرد في جوف التنور فأخرج من التنور ، وقد احترق ، وصار أسود كالفحم ، فلم تمض به ساعات حتى قضي .

فأضحك ، أنه لم يَدْعُ أحد منهم على نفسه في تلك الساعة بدعاء إلا استجاب الله له في نفسه[1].

○ ابن العلقمي الرافضي الخبيث ○

زالت - من أثر خيانته - الخلافة العباسية ببغداد سنة ست وخمسين وستمائة على يد هولاكو وقتل الخليفة المستعصم بالله .

كان أول من برز إلى التتار هو ، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع بهولاكو لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، وكان قدوم هولاكو لبغداد في ثاني عشر المحرم ومعه نحو مائتي ألف مقاتل .

فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة ، والفقهاء ، والصوفية ، ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبع عشرة نفسًا ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأُحضر الخليفة بين يدي هولاكو ، فسأله عن أشياء كثيرة ، فيقال أنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأُحضر من دار الخليفة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو ألَّا يصالح الخليفة ، وقال الوزير : متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين ، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسّنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى هولاكو أمر بقتله ، ويقال : إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ، والمولى نصير الدين الطوسي - وكان هولاكو قد انتخب النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير - فلما قدم هولاكو وتهيّب من قتل الخليفة ، هوّن عليه

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٥٨٦ - ٥٩٠) .

الوزير ابن العلقمي ذلك فقتلوه رفسا ، وهو في جوالق ؛ لئلا يقع على الأرض شيء من دمه ، وقيل : بل خنق ، ويقال : بل أغرق ، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد ، ثم ولده عبد الرحمن وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت أخواته الثلاث: فاطمة وخديجة ومريم، وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر . وقتل أستاذ دار الخلافة محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وقتل أولاده الثلاثة ، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة .

ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال ، والنساء ، والولدان ، والمشايخ ، والكهول، والشبان، وسادات العلماء، والقضاة ، والأكابر ، والرؤساء ، والأمراء وأولي الحل ، والعقد .

ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار ، إما بالكسر ، وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة ، فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة . وكذلك في المساجد والجوامع والربط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ومن التجأ إليهم ، وإلى دار الوزير ابن العلقمي ، وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا ، بذلوا عليه أموالًا جزيلة ، وعادت بغداد - بعد ما كانت آنس المدن كلها - كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وكان الوزير ابن العلقمي - قبل هذه الحادثة - يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان إلى أن لم يبق سوى عشر آلاف ، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، ثم كاتب التتار ، وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليه ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال ، وذلك كله طمعًا منه أن يزيل السّنة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره، وقد ردّ كيده في نحره ، وأذله بعد العزة القعساء ، وجعله حوشكاشا للتتار بعد ما كان وزيرًا

للخلفاء ، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال ، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين- في هذه الوقعة- فقيل : ثمانمائة ألف، وقيل : ألف ألف وثمانمائة، وقيل : بلغت القتلى ألفي ألف نفس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا .

وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن ، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن العلقمي - قبحه الله ولعنه - أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ، ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض ، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون عِلمهم وعَلَمَهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته ، وقصف عمره بعد شهور يسيره من هذه الحادثة ، وأتبعه بولده فاجتمعا ، والله أعلم بالدرك الأسفل من النار .

ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يومًا ، بقيت بغداد خاوية على عروشها ، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد ، حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو ، وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نودي ببغداد بالأمان ، خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر ، كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم ، وقد أنكر بعضهم بعضًا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه ، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى .

ورحل هولاكو إلى مقر ملكه ، وفوّض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوض إليه الشحنكية بها وإلى الوزير ابن العلقمي ، فلم يمهله الله ولا أهمله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ، فمات جهدًا وغما وحزنًا وندمًا إلى حيث ألقت رحلها أم قعشم ، فولي بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ، فألحقه الله

بأبيه في بقية هذا العام ، ولله الحمد والمنّة[١] .

ويقول عنه ابن كثير أيضًا :

محمد بن أحمد بن علي بن أبي طالب ، الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمي وزير المستعصم . ثم صار وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين . وكان رافضيًا خبيثًا رديء الطوية على الإسلام وأهله ، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ، ثم مالأ على الإسلام وأهله الكافر هولاكو خان .

ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار ، الذين مالأهم ، وزال عنه ستر الله ، وذاق الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وقد رأته امرأة وهو في الذل والهوان وهو راكب في أيام التتار برذونًا وهو مرسم عليه ، وسائق يسوق به ويضرب فرسه ، فوقفت إلى جانبه ، وقالت له : يابن العلقمي هكذا كان بنو العباس يعاملونك ؟ فوقعت كلمتها في قلبه وانقطع إلى داره إلى أن مات كمدا وغبينة وضيقًا ، وقلة وذلة ، وسمع بأذنيه ، ورأى بعينيه من الإهانة من التتار والمسلمين ما لا يحد ولا يوصف ، وتولى بعده ولده الخبيث الوزارة ، ثم أخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة سريعًا ، وقد هجاه بعض الشعراء ، فقال فيه :

يا فرقة الإسلام نوحوا واندبوا أسفًا على ما حلّ بالمستعصم[٢]
دستُ الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي

وقال عنه الذهبي :

الوزير الكبير المدبر المبير مؤيد الدين محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب بن العلقمي . أفشى الرفض فعارضته السّنة وأُكبت ، فتنمّر ، ورأى أن هولاكو على قصد العراق فكاتبه وحبّره وقوى عزمه على قصد العراق ، ليتخذ عنده يدًا ، وليتمكن من أغراضه ، وحفر للأمة قَليبًا فأوقع فيه قريبًا ، وذاق

---

(١) البداية والنهاية (١٣/٢١٣-٢١٧). (٢) البداية والنهاية (٣/٢٢٥-٢٢٦).

الهوان ، وبقي يركب كديشًا وحده ، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب سلطان ، فمات غبنًا وغمًّا بعد الكائنة بثلاثة أشهر وهلك ، وفي الآخرة أشد خزيًا وأشد تنكيلًا »[1] والجزاء من جنس العمل .

بقدر إجلالك لله يجلك الله ، وبقدر التطاول يذلك

قال ابن الجوزي :

إخواني اسمعوا نصيحة من قد جرّب وخبر :

إنه بقدر إجلالكم لله عز وجل يجلكم ، وبقدر تعظيم قدره واحترامه يعظم أقداركم وحرمتكم[2] وبقدر الاستهانة بشرع الله والتطاول على كتابه وسنته ، ونفي ما أثبته لنفسه ، يلحق الهوان بالمبتدعة .

○ الجعد بن درهم[3] ○

قال السيوطي في كتاب الأوائل : أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد – يعني : في الإسلام – الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية ، فقال : بأن الله لا يتكلم .

وهو أول من قال بخلق القرآن ، وأنكر أن يكون الله قد تكلم به ، وأنكر أن يكون اتخذ إبراهيم خليلًا .

وهو أول من تكلم في صفات الله عز وجل وأنكرها . ولما كثرت أسئلته عن صفات الله قال له وهب بن منبه : ويلك يا جعد ! قصر المسألة عن ذلك إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله أن له يدًا ، وأن له عينًا ما قلنا ذلك .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن أول ما حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام – أعني : أن الله ليس على العرش حقيقة ، وأن معنى استوى بمعنى : استولى ونحو ذلك – الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/٣٦١-٣٦٢). (٢) صيد الخاطر ص ١٩٤ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٥/٢٠)، ولوامع الأنوار البهية (١/٢٢٣) والنونية (١/٢٩) وسير أعلام النبلاء (٥/٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/٣٥٠)، والبداية والنهاية (١٠/١٩).

فنسبت مقالة الجهمية إليه.

وقال ابن كثير : كان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له : أبان بن سمعان ، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد ابن الأعصم عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي .

قال ابن القيم في نونيته عن الجهمية وشيخهم الجعد :

وكذاك قالوا ما له من خلقه ... أحد يكون خليله النفساني

وخليله المحتاجُ عندهم وفي ... ذا الوصف يدخل عابدُ الأوثان

فالكل مفتقر إليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عان

ولأجل ذا ضحّى بجعدٍ خالدُ الْـ ... قَسْرِيُّ يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلّا ولا موسى الكليم الداني

شكرَ الضحية كلُّ صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

حرفوا الكلم عن مواضعه فقالوا : إن معنى الخليل في قوله تعالى : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾ [النساء : ١٢٥] الفقير المحتاج ، ولا شك في فساد هذا التأويل ، إذ لا يكون حينئذ لتخصيص إبراهيم بالخلة معنى ، فإن الفقر والاحتياج لازم لجميع الخلق لزومًا ذاتيا ، وبذلك يكون وصف الخلة متناولًا لجميعهم حتى عبدة الأوثان الذين هم ألد أعداء الرحمن .

وأي ذنب أعظم من هذا ، وإهانة لخليل الرحمن عليه السلام ، فذبح في يوم شرف وعز الخليل في سنة ١٢٤هـ . ضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق بواسط في يوم الأضحى حيث قال :

أيها الناس ، اذهبوا إلى أضاحيكم ، يتقبل الله منكم ، فإني مُضَحٍّ بالجعد ابن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ، ولا كلّم موسى تكليمًا . ثم نزل فذبحه ، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من التابعين ، فشكر له صنيعه أهل السنة والجماعة[1].

---

(١) شرح النونية للهراس (١ / ٣٠) .

○ جهم بن صفوان ○

تبني الجهم آراء الجعد بن درهم ثم زاد عليها بدعًا أخرى :

الأولى : القول بالجبر ؛ حيث زعم أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور على أفعاله .

الثانية : القول بأن الإيمان هو المعرفة ؛ حيث زعم أن الإيمان وهو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط .

الثالثة : القول بفناء الجنة والنار بعد دخول أهلهما فيهما .

الرابعة : القول بأن علم الله حادث ؛ حيث زعم أنه لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه(١) .

قال إبراهيم بن طهمان : ما ذكرته ولا ذكر عندي إلا دعوت الله عليه ، ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه العظيم .

انظر ما قال شيخ الإسلام المبارك ابن قيم الجوزية عن أبي محرز الراسبي جهم بن صفوان أس الضلالة ، ورأس الجهمية :

جهمُ بن صفوانٍ وشيعته الأُولى ... جحدوا صفاتِ الخالق الديّانِ
بل عطّلوا منه السموات العُلى ... والعرش أخلوه من الرحمنِ
ونفوا كلامَ الربِّ جلا جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثانِ
والعبد عندهم فليس بفاعل ... بل فعله كتحرك الرجفانِ
وهبوب ريحٍ أو تحرك نائمٍ ... وتحرك الأشجار للميلانِ
والله يصليه على ما ليس من ... أفعاله حر الحميم الآنِ
لكن يعاقبه على أفعالهِ ... فيه تعالى الله ذو الإحسانِ
قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلّاقهم هو منتهى الإيمانِ
والناس في الإيمان شيء واحدٌ ... كالمشط عند تماثل الأسنانِ
فاسأل أبا جهل وشيعته ومَنْ ... والاهمُ من عابدي الأوثانِ

---

(١) الفرق بين الفرق (٢١١ ، ٢١٢) .

وسلِ اليهود وكل أقلف مشرك عبد المسيح مقبّل الصلبانِ
واسأل ثمود وعاد بل سَلْ قبلهمْ أعداء نوحٍ أمة الطوفانِ
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الْـ ـخلّاق أم أصبحت ذا نكرانِ
واسأل شرار الخلق أغلى أمة لوطية هم ناكحو الذكرانِ
واسأل كذاك إمام كل معطلٍ فرعون مَعْ قارون مَعْ هامانِ
هل كان فيهم منكر للخالق الـ ـرَّب العظيم مكون الأكوانِ
فلْيُبشروا ما فيهمُ من كافرٍ هم عند جهمٍ كاملو الإيمانِ
وقضى بأن الله كان معطلًا والفعل ممتنع بلا إمكانِ
ثم استحال وصار مقدورًا له من غير أمرٍ قام بالديانِ
وقضى بأن النار لم تخلق ولا جنات عدن بل هما عدمانِ
فإذا هما خُلِقَا ليوم معادِنا فهما على الأوقات فانيتانِ
ما ذا الذي في ضمن ذا التعطيل من نفي ومن جحدٍ ومن نكران
وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه عجلًا ليفتن أمة الثيران
وكساه أنواع الجواهر والحِلَى من لؤلؤٍ صافٍ ومن عِقيانِ
فرآه ثيران الورى فأصابهم كمصاب إخوتهم قديم زمان
عجلان قد فتنا العباد بصوته إحداهما وبحرفه ذا الثاني[(١)]

قتل هذا الخبيث مع الحارث بن سريج ضد بني أمية .

قال ابن كثير : فقتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان ، طعنه رجل في فيه فقتله[(٢)] .

والجزاء من جنس العمل.. هذا الفم الذي أخرج زبالات الأذهان يطعن.

ويقال : بل أسر الجهم ، فأوقف بين يدي سلم بن أحوز ، فأمر بقتله ، فقال : إن لي أمانًا من أبيك ، فقال : ما كان له أن يؤمنك ، ولو فعل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب ، وأنزلت عيسى ابن مريم ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك . وأمر ابن ميسر فقتله[(٢)] وفي رواية ابن

(١) النونية لابن القيم . (٢) البداية والنهاية (٢٨/١٠) .

جرير: وأبرأك إلّي عيسى ابن مريم ما نجوت[١].

وقال الذهبي : إن سلم بن أحوز قتل الجهم لإنكاره أن الله كلّم موسى[٢].

○ غيلان الدمشقي القدري ○

قال ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »[٣] .

قال أبو جعفر الخطمي : شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر ، فقال له : ويحك يا غيلان ، ما هذا الذي بلغني عنك ؟

قال : يكذب عليّ يا أمير المؤمنين ، ويقال عليَّ ما لا أقول .

قال : ما تقول في العلم ؟

قال : نفد العلم .

قال : أنت مخصوم اذهب الآن ، فقل ما شئت ، يا غيلان ، إنك إن أقررت بالعلم خُصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك إن تُقِرَّ به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر .

ثم قال له : أتقرأ يسٓ ؟

قال : نعم .

قال : اقرأ .

قال : فقرأ : ﴿ **يسٓ والقرآن الحكيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون** ﴾ [يس : ١-٧] .

قال : قف ، كيف ترى ؟ .

قال : كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين

---

(١) تاريخ الطبري (٤ / ٢٩٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٧) .

(٣) حسن : حسنه الألباني بمجموع الطرق ، حاشية الطحاوية ص ٣٠٤ .

قال : زد .

فقرأ : ﴿ **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا** ﴾ [يس : ٨- ٩] .

فقال له عمر : قل : ﴿ **سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ [يس : ٩ - ١٠] .

قال : كيف ترى ؟

قال : كأني لم أقرأ هذه الآيات قط ، وإني أعاهد الله ألا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبدًا .

قال : اذهب .

فلما ولى قال : اللهم ، إن كان كاذبًا بما قال فأذقه حر السلاح .

قال : فلم يتكلم زمن عمر ، فلما كان يزيد بن عبد الملك كان رجلًا لا يهتم بهذا ، ولا ينظر فيه .

قال : فتكلم غيلان .

فلما ولي هشام أرسل إليه فقال : أليس قد كنت عاهدت الله لعمر لا تتكلم في شيء من هذا أبدًا ؟

قال : أقلني فوالله لا أعود .

قال : لا أقالني الله إن أقلتك ، هل تقرأ فاتحة الكتاب ؟

قال : نعم .

قال : اقرأ : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ [الفاتحة : ٢] .

فقرأ : ﴿ **الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

قال : قف . علام استعنته ؟ على أمر بيده لا تستطيعه ، أو على أمر في يدك - أو بيدك ؟ .

اذهبا فاقطعا يديه ورجليه ، واضربا عنقه ، واصلباه[1] .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٤١٤ - ٤١٥) الأثر ١٣٢٥ .

وفي رواية أخرى: ويحك يا غيلان، أراني أبلغ عنك. ويحك يا غيلان، أراني أبلغ عنك . ويحك يا غيلان ، أراني أبلغ عنك .

وقال له : ويحك ، فإنك آمن ، وأمره أن يجلس فجلس .

وجعل عمر يسأله ، وغيلان يرفع بصره إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة ، وانتفخت أوداجه .

فقال : ما يمنعك أن تتكلم وقد جعلت لك الأمان ؟ .

فقال غيلان : استغفر الله وأتوب إليه ، ادع الله لي بالمغفرة .

فقال : اللهم ، إن كان عبدك صادقًا فوفقه وسدده ، وإن كان كاذبًا أعطاني بلسانه ما ليس في قلبه ، بعد أن أنصفته ، وجعلت له الأمان ، فسلّط عليه من يمثل به .

وفي رواية: اللهم، إن كان صادقًا فتب عليه، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين .

قال : فصار من أمره بعد أن قطع لسانه وصلب[1].

قطع لسانه ، والجزاء من جنس العمل .

عن رجاء بن حيوة أنه كتب لهشام بن عبد الملك أمير المؤمنين : بلغني أنه دخلك من قبل غيلان وصالح ، فأقر بالله ، لقتلهما أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم .

عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: كنت عند عبادة بن نُسي، فأتاه آت، فقال : إن أمير المؤمنين قد قطع يد غيلان ورجليه ، وصلبه .

قال ما تقول ؟.

قال : قد فعل .

قال عبادة: أصاب والله فيه القضية والسنة، ولأكتبن إليه، فلأحسنن له[2].

قال خالد بن اللجلاج لغيلان : ويحك يا غيلان ، ألم يأخذك في شبيبتك

---

(١) (٢) شرح أصول الاعتقاد (٣ / ٧١٦ - ٧١٧) .

ترامي النساء في شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرت حارثيًّا[١] تحجب امرأة ، وتزعم أنها أم المؤمنين ، ثم تحولت من ذلك فصرت قدريا زنديقًا[٢] .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية : أن المسلمين أقاموا الحجة على غيلان ، وناظروه ، وبينوا له الحق ، كما فعل عمر بن عبد العزيز واستتابه ، ثم نكث بعد التوبة فقتلوه[٣] .

وهو ثاني من تكلم في القدر بعد معبد الجهني ، ولقد ناظره الأوزاعي ، وأفتى بقتله ، فصلب بعد سنة ١٠٥هـ[٤] .

○ كل صاحب بدعة ذليل ○

معبد الجهني

قال ابن عيينة : كل صاحب بدعة ذليل ، قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين** ﴾ [الأعراف : ١٥٢] .

هذا جزاء من استهان بالشرع والوحي .

عن أبي الزبير قال : كنا نطوف مع طاووس فمررنا بمعبد الجهني .

قال : فقيل لطاووس : هذا معبد الذي يقول بالقدر .

قال : فقال له طاووس : أنت المفتري على الله بما لا تعلم ؟

قال : فقال : يُكذب عليّ .

قال : فدخلنا على ابن عباس ، فقال له طاووس : يا أبا عباس ، الذين يقولون في القدر ؟ .

فقال : أروني بعضهم .

قال : صانع ماذا ؟

---

(١) من أتباع الحارث بن سعيد الذي ادعى النبوة .

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٧١٨/٣). (٣) درء التعارض (٧ / ١١٧٣) .

(٤) تحقيق كتاب السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل للدكتور القحطاني ص ٣٨٦ .

قال : أُدخل يدي في رأسه ثم أدق عنقه .

وعنه : أُدخل يدي في عينيه فأقلعهما ولا نصونه[١].

○ بشر المريسي ○

قال عنه ابن كثير : شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون[٢] .

وقال الذهبي : جرّد القول بخلق القرآن ، ودعا عليه ، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم ، فمقته أهل العلم ، وكفّره عدة ، ولم يدرك جهم ابن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه[٣].

قال رجل ليزيد بن هارون : عندنا ببغداد رجل يقال له : المريسي ، يقول : القرآن مخلوق .

فقال : ما في فتيانكم مَنْ يفتك به ؟

قلت : قد أخذ المريسي في دولة الرشيد ، وأهين من أجل مقالته .

قال المروزي : سمعت أبا عبد الله ، وذكر المريسي ، فقال : كان أبوه يهوديًا ، أي شيء تراه يكون ؟

وقال أبو عبد الله : كان بشر يحضر مجلس أبي يوسف ، فيصيح ويستغيث ، فقال له أبو يوسف مرة : لا تنتهي أو تُفسد خشبة[٤] يعني وتصلب[٥] . فهو بشر الشر ، وبشر الحافي بشر الخير ، كما أن ابن حنبل أحمد السنة ، وابن أبي دؤاد أحمد البدعة .

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (٤ / ٧١٢) .

(٢) البداية والنهاية (١٠ / ٢٩٤) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٠٠) .

(٤) سير أعلام البنلاء (١٠ / ٢٠١) .

(٥) ميزان الاعتدال (١ / ٣٢٣) ، وفي تاريخ بغداد (٧ / ٦٣) حتى تصعد خشبة .

○ الحـلاج ○

هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث ، رأس أهل الحلول والاتحاد .

قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبّادنا كان فيه شبه من النصارى ، ولهذا دخل على الحلاج الحلول فصار من أهل الانحراف .

صح عنه أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر ، وقال : أدعو به إلى الله ، وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث ، ويكاتبه أهل سركسان بالمقيت ، وأهل خراسان بالمميز ، وأهل فارس بأبي عبد الله الزاهد ، وأهل خوزستان بحلّاج الأسرار ، وكان بعض البغدادة يقولون له : المصطلم ، وأهل البصرة يقولون له : المحير .

ومن شعره :

سبحان من أظهر ناسوته سرُّ سَنا لاهوته الثاقبِ
ثم بدا في خلقه ظاهرًا في صورة الآكل والشاربِ
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجبِ

قال عمرو بن عثمان المكي : كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة ، وكنت أقرأ القرآن ، فسمع قراءتي فقال : يمكنني أن أقول مثل هذا ففارقته.

وقال القشيري في رسالته في باب حفظ قلوب المشايخ : إن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئًا في أوراق ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن .

وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتبًا كثيرة يلعنه فيها ، ويحذر الناس منه ، فشرد الحلاج في البلاد ، فعاث يمينًا وشمالًا ، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ، ويستعين بأنواع من الحيل ، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه

الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، فقتله بسيف الشرع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق ، والله أعدل من أن يسلطه على صدّيق ، فكيف وقد تهجم على القرآن العظيم ، وقد أراد معارضته في البلد الحرام حيث نزل به جبريل ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ [الحج : ٢٥] ولا إلحاد أعظم من هذا . وقد أشبه الحلاج كفار قريش في معاندتهم ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾(1) [الأنفال : ٣١] .

قال الذهبي : كان يصحح حاله ابن عطاء ، ومحمد بن حفيف ، وإبراهيم أبو القاسم النصر آباذي وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء ؛ لسوء سيرته ومُروقه ، ومنهم من نسبه إلى الحلول ، ومنهم من نسبه إلى الزندقة ، وإلى الشعبذة والزُّوكرة ، وقد تسترَّ به طائفة من ذوي الضلال والانحلال ، وانتحلو ، وروّجوا به على الجهال .

وقال له الجنيد يومًا : أي خشبة تفسدها ؟ يريد أنه يصلب .

وقال عنه إبراهيم بن شيبان : من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوي الفاسدة ، فلينظر إلى الحلاج وما صار إليه .

وكان يقول : ما انفصلت البشرية عنه ولا اتصلت به .

لما أحضره الوزير علي بن عيسى فلم يجده يحسن القرآن والفقه ولا الحديث ، فقال : تعلمك الفرض والطّهور أجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها ، كم تكتب ...؟ ويلك إلى الناس، تبارك ذو النور الشعشعاني ! ما أحوجك إلى أدب ! وأمر به فصلب ، ووجد في كتبه : إني مغرق قوم نوح، ومهلك عادًا وثمود .

---

(١) ترجمة الحلاج كاملة مفصلة في سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣١٣ - ٣٥٥) ، البداية والنهاية (١١ / ١٤١ - ١٥٤) وهنا سأجمع بين الكتابين وأنقل مقتطفات .

وكان يقول للواحد من أصحابه : أنت نوح ، ولآخر : أنت موسى ، ولآخر : أنت محمد .

قال ابن عقيل : قد قتل بإجماع فقهاء عصره ، فأصابوا وأخطأ هو وحده .

صفة مقتل الحلاج :

قال الخطيب البغدادي : كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بغداد ، فصحب الصوفية وانتسب إليهم ، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العباس ، فبلغه أن الحلاج قد أضل خلقًا من الحشم والحجاب في دار السلطان ، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب ، وجعل لهم في جملة ما ادعاه أنه يحيي الموتى ، وإن الجن يخدمونه ، ويحضرون له ما شاء . وقال : إنه أحيا عدة من الطير ، وسلم إلى الوزير حامد بن العباس ، فحبسه في قيود كثيرة في رجليه ، وجمع له الفقهاء ، فأجمعوا على كفره وزندقته وأنه ساحر ممخرق .

ولما كان آخر مجلس ، أحضر الوزير حامد بن العباس القاضي أبا عمر محمد بن يوسف وجيء بالحلاج ، وقد أحضر له كتابًا من دور بعض أصحابه وفيه : ومن أراد الحج ولم يتيسر له ، فليبن في داره بيتا لا يناله شيء من النجاسة ، ولا يمكن أحدًا من دخوله ، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام ، وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة ، ثم يستدعي بثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه ، ويتولى خدمتهم بنفسه ، ثم يكسوهم قميصًا قميصًا ، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم ، فإن فعل ذلك قام له مقام الحج ، وإن من صام ثلاثة أيام لا يُفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان .

ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك . وأن من جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ، ثم لا يفطر إلا على شيء من خبز الشعير والملح الجريش ، أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره .

فقال له القاضي أبو عمر : من أين لك هذا ؟ فقال : من كتاب الإخلاص للحسن البصري .

فقال له : كذبت يا حلال الدم ، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ليس فيه شيء من هذا . فأقبل الوزير على القاضي فقال له : قد قلت : يا حلال الدم ، فاكتب ذلك في هذه الورقة ، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك في تلك الورقة ، وكتب من حضر خطوطهم فيها ، وأنفذها الوزير إلى المقتدر .

فجاء الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة وليضربه ألف سوط ، فإن مات وإلا ضربت عنقه .

وبُعث به إليه وهو راكب على بغل عليه إكاف ، وحوله جماعة من السيّاسة ، على مثل شكله فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة ، فذكر أنه بات يصلي تلك الليلة ، ويدعو دعاءً كثيرًا .

وقالوا : ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب إلى القتل أنشد :

طلبت المستقرَّ بكل أرضٍ فلم أرَ لي بأرض مستقرّا
وذقت من الزمان وذاق مني وجدت مذاقه حلوًا ومرّا
أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لعشت حرّا

فلما أخرج للصلب مشى إليه يتبختر في مشيته ، وفي رجليه ثلاثة عشر قيدًا وجعل ينشد ويتمايل :

نديمي غير منسوب إلي شيء من الحيفِ
مثـل مـا يشرب فعل الضيف بالضيفِ
فلمـا دارت الكـأس دعا بالنطع والسيـفِ
كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيفِ

ثم قدم فضرب ألف سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وهو في ذلك كله ساكت ، ما نطق بكلمة ولم يتغير لونه .

وقال الخطيب : قال لنا أبو عمر بن حيوية : لَمَا أخرج الحسينَ بن منصور الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس ، ولم أزل أزاحم عليه حتى رأيته ، فدنوت منه ، فقال لأصحابه : لا يهولنكم هذا الأمر ، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يومًا ، ثم قتل فما عاد .

قال الذهبي : هذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذاب حتى عند قتله[1] ثم قطعت يداه ورجلاه ، وحُزَّ رأسه ، وأحرقت جثته ، وألقي رمادها في دجلة ، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر ، ثم حمل إلى خراسان ، وطيف به في تلك النواحي .

قال الإمام الفقيه المحدث بقية السلف - كما يقول الذهبي - ابن أيوب :

لا شك أن الحجاج قتل من العلماء خلائق يتعسر حصرهم ، وشتت شملهم وأبادهم ، وقتل سعيد بن جبير ، وأهل الأرض محتاجون إلى علمه ، وخلعه العلماء وخرجوا عليه ، وقاتلوه ، ومع هذا كله لم يقل أحد منهم : إنه كافر ، بل قالوا : إنه من عصاة المسلمين ، لا تحل إمرته لذلك ، والحلاج ما تعرض لأحد من أهل العلم بأذى في دنياه ، وأجمع جميع أهل زمانه منهم على كفره ، واستباحة دمه ، فلو كان العلماء يقولون بالهوى ، لقالوا في الحجاج الذي ما ترك نوعًا من الأذى حتى رماهم به ، فثبت أنهم لا يقولون بالهوى اهـ .

وَرَد في الطواسين للحلاج أنه قال :

ألا أبلغ أحبائي بأني ... ركبت البحر وانكسر السفينه
على دين الصليب يكون موتي ... فلا البطحا أريد ولا المدينه

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٤٦) .

فصلب .. جزاءً وفاقًا .

من كلمات هذا الزنديق : أنزهك عما قرفك به عبادك ، وأبرأ إليك مما وحدّك به الموحدون . قال الذهبي : هذا عين الزندقة .

وجدوا كتابًا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعُرض عليه ، فقال : هذا خطي وأنا كتبته . فقالوا : كنت تدعي النبوة صرت تدعي الربوبية ؟! . قال : لا ، ولكن هذا عين الجمع عندنا ، هل الكاتب إلا الله وأنا ؟ فاليد فيه آلة .

مات الحلاج في جامع الدِّينَور ومعه جماعة ، فسأله واحد منهم فقال : يا شيخ! ما تقول فيما قال فرعون؟ قال: قال كلمة حق. قال: فما تقول فيما قال موسى عليه السلام ؟ قال: قال كلمة حق ؛ لأنهما كلمتان جرتا في الأبد، كما أُجريتا في الأزل[1] .

وقال : ما وحّد الله غير الله . وقال : الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم ، فأما من حيث الحقيقة : فلا فرق بينهما .

عن جندب بن زاذان تلميذ الحلاج قال : كتب الحسين إليّ : السلام عليك يا ولدي ، ستر الله عنك ظاهر الشريعة ، وكشف لك حقيقة الكفر ، فإن ظاهر الشريعة كفر ، وحقيقة الكفر معرفة جلية وإني أوصيك ألا تغترّ بالله ، ولا تيأس منه ، ولا ترغب في محبته ، ولا ترضَ أن تكون غير محب ، ولا تقل بإثباته ، ولا تمل إلى نفيه ، وإياك والتوحيد ، والسلام[2] .

○ ابن الفارض ○

شيخ الاتحادية وصاحب التائية .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٥٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٥٢ - ٣٥٣) .

وكم في التائية ، والفصوص ، والفتوحات لابن عربي ، واليد لابن سبعين ، وخلع النعلين لابن قسي ، وعين اليقين لابن برجان ، وشعر نجم الدين بن إسرائيل ، والعفيف التلمساني من كفر صريح .

وحدة الأديان عند ابن الفارض :

مثلما قال ابن عربي :

عقد الخلائق في الإله عقائدًا — وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

قال ابن الفارض في تائيته :

فبي مجلس الأذكار سمع مطالعٍ — ولي حانة الخمار عين طليعةِ
وما عقد الزّنار[1] حكمًا سوى يدي — وإن حُلّ بالاقرار بي ، فهي حلّتِ
وإن نار بالتنزيل محراب مسجدٍ — فما بار بالإنجيل هيكلُ بيعةِ
وأسفار توراة الكليم لقومه — يناجي بها الأحبار في كل ليلةِ
وإن خَرّ للأحجار في البُدِّ عاكف — فلا تعد بالإنكار بالعصبيةِ
فما زاغتِ الأبصار من كل ملة — وما زاغت الأفكار من كل نحلةِ
وما احتار مَنْ للشمس عن غرة صبا — وإشراقها من نور إسفارِ غُرَّتي
وإن عبدَ النارَ المجوسُ وما انطفتْ — كما جاء في الأخبارِ في ألف حجةِ
فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم — سواي وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوء ناري مرةً فتوهّمو — هُ نارًا فضلوا في الهدى بالأشعةِ[2]

ويقول أيضًا :

وإياك والإعراض عن كل صورةٍ — مموّهةٍ أو حالةٍ مستحيلةِ
فطيف خيال الظل يبدي إليك في — كرى اللهو ما عنه الستائر شُقَّتِ
ترى صورَ الأشياء تُجْلَى عليك من — وراء حجاب اللبس في كل خلعةِ
تجمعت الأضداد فيها لحكمةٍ — وأشكالها تبدو على كل هيئة

---

(١) ما على وسط النصارى والمجوس .
(٢) مصرع التصوف ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

ثم يقول :

وكل الذي شاهدته فعل واحد بمفرده، لكن بِحَجْب الأَكنَّـةِ
إذا ما أزال السترَ لم تر غيره ولم يبقَ بالأشكالِ إشكالُ ريبة(١)

ويقول شيخ الزنادقة :

لها صلواتي بالمقامِ أُقيمها وأشهد فيها أنها لـيَ صَلَّتِ
كلانـا مصلٍّ ساجـدٌ إلـى حقيقتهِ بالجمع في كل سجدةِ
وما كان لي صلّى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كلِّ ركعةِ
وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلّتِ
فإن دعيت كنت المجيبَ وإن أكن منادًى أجابتْ من دَعَاني ولَبّتِ
وإن نطقتْ كنت المناجى ، كذاك إنْ قصصتُ حديثًا ، إنما هي قَصّتِ
فقد رفعتْ تاءُ المخاطبِ بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي(٢)

ويفتري سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية تتجلى في صور ليلى وبثينة وعزة :

وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعةِ
ففي مرة لبنى وأخرى بثينة وآونـة تدعى بِعـزَّة عـزّتِ
ولسْن سواها لا وَلا كُنَّ غيرها وما إنْ لَهَا في حسنها من شريكةِ
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها كما لي بدت في غيرها وتزيّتِ
أسامٍ بها كنت المسمَّىٰ حقيقةً وكنتُ لَيَ البادي بنفسٍ تخفّتِ
وما زلتُ إياها وإيَّايَ لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبّتِ

يقول الإمام المقبلي صاحب كتاب : العلم الشامخ ، في إيثار الحق على الآباء

---

(١) مصرع التصوف ص ٥٧ .

(٢) « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي » للبقاعي ص ٦٤ - ٦٥ .

والمشايخ . عن ابن الفارض : يكفيك كلام ابن الفارض الذي أذعنوا له طرّا ما ظاهره الاتحاد ، والتزام الكفر ، والترفع على الأنبياء ، وعلى الجملة فلم يبقَ ما يمكن دعواه من المقامات الرفيعة ، ولا ما تأتي به الخلاعة من البذاءة الشنيعة إلا ادعاه[١] .

يقول ابن الفارض حيث يعلن خلع العذار :

خلعت عذاري واعتذاري لابس الـ خلاعةِ مسرورٌ بخَلعي وخلعتي
وخلعُ عِذاري فيك فرضي وإن أبى اقـ ترابيَ قومي والخلاعة سُنَّتي
وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكي فأبدوا قِلًى واستحسنوا فيك جفوتي
وأهليَ في دِين الهوى أهلهُ وقدْ رضوْا ليَ عاري واستطابوا فضيحتي

قال ابن حجر :

ينعق بالاتحاد الصريح في شعره ، وهذه بلية عظيمة ، فتدبّر نظمه ولا تستعجل ، ولكنك حسن الظن بالصوفية ، وما ثمّ إلا زيّ الصوفية ، وإشارات مجملة وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعٍ ، فقد نصحتك والله الموعد[٢] .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : كان سيد شعراء عصره وشيخ الاتحادية .

وقال الذهبي : إلا أنه شابه بالاتحاد في ألذّ عبارة ، وأرقّ استعارة ، كفالوذج مسموم ، قال :

وهأنا أبدي في اتحادي مبدئي وأنهي انتهائي في مواضع رفعتي
وفي موقفي لا بل إلي توجهي ولكنْ صلاتي لي ومنيَ كعبتي

ومنها :

وجُدْ في فنونِ الاتحاد ولا تَحُدْ إلى فئةٍ في غرة العمر أصبتِ

وكنت سألت شيخنا الإمام سراج الدين البلقيني عن ابن عربي ، فبادر بالجواب بأنه كافر ، فسألته عن ابن الفارض فقال : لا أحب أن أتكلم فيه .

---

(١) العلم الشامخ ص ٣٧٨ .

(٢) لسان الميزان (٤/٣١٧-٣١٩).

قلت : فما الفرق بينهما والموضع واحد ؟ وأنشدته من التائية ، فقطع عليّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله : هذا كفر ، هذا كفر .

قال ابن حجر : ورأيت في كتاب التوحيد للشيخ عبد القادر القوصي ، قال : حكى لي الشيخ عبد العزيز بن عبد الغني المنوفي ، قال : كنت بجامع مصر وابن الفارض في الجامع ، وعليه حلقة ، فقام شاب من عنده ، وجاء إلى عندي ، وقال : جرى لي مع هذا الشيخ حكاية عجيبة - يعني : ابن الفارض - قال : دفع إليّ دراهم ، وقال : اشتر لنا بها شيئًا للأكل ، فاشتريت ومشينا إلى الساحل ، فنزلنا في مركب حتى طلع البهنسا ، فطرق بابًا فنزل شخص ، فقال : بسم الله ، وطلع الشيخ ، فطلعت معه ، وإذا بنسوة بأيديهم الدفوف والشبّابات ، وهم يغنون له ، فرقص الشيخ إلى أن انتهى وفرغ ، ونزلنا وسافرنا حتى جئنا إلى مصر ، فبقي في نفسي ، فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخص الذي فتح له الباب ، فقال له : يا سيدي فلانة ماتت . وذكر واحدة من أولئك الجواري فقال اطلبوا الدلّال ، وقال : اشتر لي جارية تغني بدلها ، ثم أمسك أذني فقال : لا تنكر على الفقراء[1].

ابن الفارض الذي يكذب على رسول الله ﷺ ، ويقول : إنه رآه منامًا وإنه سأل ابن الفارض عن قصيدته التائية، ما سمَّاها؟ فأجابه بأنه سمَّاها: لوائح الجنان وروائح الجنان . فقال له النبي- ﷺ- : لا ، بل سمها : نظم السلوك[2].

من كان بحالة لقي الله بها ، والجزاء من جنس العمل ، ومن فسدت بدايته فسدت نهايته .

فعند موت ابن الفارض تأوّه ، وصرخ صرخة عظيمة ، وبكى بكاءً شديدًا ، وتغيّر لونه وقال :

إن كان منزلتي في الحب عندكمُ ... ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرتْ روحي بها زمنًا ... واليوم أحسبها أضغاث أحلامِ

---

(١) لسان الميزان لابن حجر (٤/٣١٧-٣١٩). (٢) ديباجة الديوان ص ٦ - ٧ .

○ المختار بن أبي عبيد الثقفي ○

المختار الكذاب .

سلّطه الله على قتلة الحسين ، وهو الكذّاب الذي قال فيه الرسول ﷺ : « إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير ». فهذا هو الكذاب، ولفظ مسلم : « إن في ثقيف كذابًا ومبيرًا » .

وقد كان في بداية أمره ناصبيًا يبغض عليًّا بغضًا شديدًا ، ثم ادعى التشيُّع ، وتتبع قتلة الحسين ومن شهد الوقعة بكربلاء ، وطابت نفس المختار بالملك ، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع .

ولم يكن المختار في نفسه صادقا ، بل كان كاذبًا يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل .

وروى الإمام أحمد عن رفاعة القباني قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة ، وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك .

وقد قيل لابن عمر : إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه ، فقال : صدق ، قال تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني عنده ، وكان يتعاهد مبيتي بالليل ، قال : فقال لي : اخرج فحدّث الناس ، قال : فخرجت ، فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟ فقلت : الوحي وحيان ، قال الله تعالى : ﴿ **بما أوحينا إليك هذا القرآن** ﴾ [يوسف : ٣] وقال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ [الأنعام : ١١٢] قال : فهمّوا أن يأخذوني ، فقلت : ما لكم وذاك ! إني مفتيكم وضيفكم . فتركوني ، وإنما أراد عكرمة أن يعرّض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه .

وروى الطبراني من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم أن أباها دخل على المختار بن أبي عبيد ، فقال له : يا أبا عامر ، لو شفت رأي جبريل وميكائيل ، فقال له زيد : خسرت وتعست ، أنت أهون على الله من ذلك ، كذاب مفترٍ على الله ورسوله .

وقد ذكر العلماء أن المختار كان يظهر التشيُّع ويبطن الكهانة ، وأسرّ إلى أخصائه أنه يوحى إليه . وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحفّ به الرجال ، ويستر بالحرير ، ويحمل على البغال ، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن .

وروى ابن جرير بإسناده إلى طفيل بن جعدة بن هبيرة قال : أعدمت مرة من الورق ، فإني كذلك إذ مررت بباب رجل هو جار لي له كرسي قد ركبه وسخ شديد ، فخطر في بالي أن لو قلت في هذا ، فرجعت فأرسلت إليه أن أرسل إليّ بالكرسي ، فأرسل به ، فأتيت المختار فقلت له : إني كنت أكتمك شيئًا وقد بدا لي أن أذكره إليك ، قال : وما هو ؟ قال : قلت : كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه ، كأنه كان يرى أن فيه أثرة من علم . قال : سبحان الله ! فلـم أخرت هذا إلى اليوم ؟ ابعثه إليّ ، قال : فجئت به وقد غسل فخرج عودًا ناضرًا وقد شرب الزيت ، فأمر لي باثني عشر ألفًا ، ثم نودي في الناس : الصلاة جامعة ، قال : فخطب المختار الناس فقال : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه قد كان في بني إسرائيل تابوت يستنصرون به ، وإن هذا مثله ، ثم أمر فكشف عنه أثوابه ، وقامت السبئية ، فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثًا ، فقام شبث بن ربعي فأنكر على الناس وكاد أن يكفر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم . وأشار بأن يكسر ، ويخرج من المسجد ، ويرمى في الخنس ، فشكرها الناس لشبث بن ربعي ، فلما قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل ، وبعث المختار بن الأشتر ، بعث معه بالكرسي يحمل على بغل أشهب قد غشي بأثواب الحرير ، عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فلما

تواجهوا مع الشاميين وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد ازداد تعظيمهم لهذا الكرسي حتى بلغوا به الكفر ، قال الطفيل بن جعدة : فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وندمت على ما صنعت .

وقد قال في هذا الكرسي أعشى همدان :

شهدت عليكم أنكم سبائيـة وأني بكم يا شرطة الشركِ عارفُ
وأقسم ما كرسيّكم بسكينـة وإنْ كان لقد لُفّت عليه اللفائفُ
وأن ليس كالتابوت فينا وإنْ سعت شبام حواليه ونهد وخـارفُ[1]
وإني امرؤ أحببت آل محمد وتابعت وحيًا ضمنته المصاحفُ

وقال المتوكل الليثي :

أبلغ أبا إسحٰق إن جئته أني بكرسيكمْ كافـر
تنزوا شبام حول أعواده وتحملُ الوحي له شاكر
محمّرة أعينهم حولـه كأنهن الحمصُ الحادرُ

وهذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه ، وضعفه وقلة علمه ، وكثرة جهله، ورداءة فهمه ، أو ترويجه الباطل على أتباعه ، وتشبيهه الباطل بالحق ، ليضل به الطغام ، ويجمع عليه جهّال العوام .

قال عبد القاهر البغدادي : لما تمت ولاية الكوفة والجزيرة والعراقين إلى حدود أرمينية تكهّن بعد ذلك ، وسجع كأسجاع الكهنة .

ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة ، فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ، وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصه ، وزعم أن الوحي ينزل عليه .

ثم إن أهل الكوفة خرجوا على المختار لمّا تكهن ، واجتمعت السبئية إليه

---

(١) شبام : رضع ، نهد : الفتاة الناهد ، خارف : عجوز .

مع عبيد أهل الكوفة ؛ لأنه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم ، وقاتل بهم الخارجين عليه ، فظفر بهم ، وقتل منهم الكثير ، وأسر جماعة منهم ، وكان في الأَسَرَاء رجل يقال له : سُراقة بن مرداس البارقي ، فقُدِّم إلى المختار ، وخاف البارقي أن يأمر بقتله ، فقال للذين أسروه وقدّموه إلى المختار : ما أنتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعدَّتكم ، وإنما هزمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البُلْق فوق عسكركم ، فأعجب المختار قوله هذا ، فأطلق عنه ، فلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وكتب منها إلى المختار هذه الأبيات :

ألا أبلغْ أبا إسحاق عني رأيت البُلْق دُهْمًا مُصْمتاتِ
أُرِي عينيّ ما لم تنظراه كلانا عالم بالترهاتِ
كفرت بوحيكم وجعلتُ نذرا عليّ قتالكم حتّى المماتِ

وفي هذا الذي ذكرناه بيان سبب كهانة المختار ودَعْواه الوحي إليه .

وأما سبب قوله بجواز البداء على الله ؛ أنه قد وعد أصحابه بالنصر على جيش مصعب ، فلما هُزموا قالوا له : لماذا تعدنا بالنصر على عدونا ؟!! فقال : إن الله كان قد وعدني ذلك ، لكنه بدا له .

ثم إن المختار باشر قتال مصعب بن الزبير بنفسه بالمذار من ناحية الكوفة ، وقتل في تلك الواقعة محمد بن الأشعث الكندي . قال المختار ، طابت نفسي بقتله أن لم يكن بقي من قتلة الحسين غيره ، ولا أبالي بالموت بعد هذا. ثم وقعت الهزيمة على المختار وأصحابه .

وأشار عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته ، فدخله وهو ملوم مذموم ، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم ، فحاصره مصعب فيه وجميعَ أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم ، وضيّق عليهم المسالك والمقاصد ، وانسدت عليهم أبواب الحيل ، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم ، ثم جعل المختار يجيل فكرته ، ويكرر رويّته في الأمر الذي قد حلّ به ، واستشار

مَن عنده في هذا السبب السيئ الذي قد اتصل سببه بسببيه من الموالي والعبيد ، ولسان الشرع يناديه : ﴿ **قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد** ﴾ [سبأ : ٤٩] .
ثم قوي عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه ، على أن أخرجته من بين من كان يحالفه ويواليه ، ورأى أن يموت على فرسه ، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه ، فنزل حميّة وغضبًا ، وشجاعة وكَلَبًا ، وهو مع ذلك لا يجد مَناصًا ولا مَفرًّا ولا مَهربًا وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر ، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر الموكلون بسقر ، ولما خرج من القصر تقدم إليه رجلان شقيقان أخوان وهما طرفة وطراف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة ، فقتلاه ، واحتزّا رأسه ، وأتيا به إلى مصعب بن الزبير وقد دخل قصر الإمارة ، فوضع بين يديه ، كما وضع رأس ابن زياد بين يدي المختار ، وكما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد ، وكما سيوضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان .

يقول أعشى همدان :

لقد نبئت والأنباء تَنْمي ... بما لاقى الكوارث بالمذارِ
وما إنْ سرّني إهلاك قومي ... وإن كانوا وحَقِّك في خَسَارِ
ولكني سررت بما يلاقي ... أبو إسحاق من خزي وعارِ

وأراح الله المسلمين من هذا الضال المضل ، بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ... وذهب المختار إلى مزبلة التاريخ ، بعد أن نُعت بالكذاب على لسان رسول الله ﷺ ، وكل صاحب فرية ذليل في الدارين .

○ ابن الراوندي الزنديق ○

قال ابن الجوزي : كم من زنديق في قلبه حقد على الإسلام ، خرج فبالغ ،

واجتهد فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه ، وكان غور مقصده في الاعتقاد الانسلال من الدين ، وفي العمل نيل الملذات ، واستباحة المحظورات .

ومنهم من لم يرح على تعثيره ، ففاتته الدنيا والآخرة ، مثل ابن الراوندي ، والمعرِّي .

عن التنوخي قال : كان ابن الراوندي ملازم الرافضة ، وأهل الإلحاد ، فإذا عوتب قال : إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ، ثم كاشف وناظر .

قال ابن الجوزي : من تأمل حال ابن الراوندي وجده من كبار الملحدة ، وصنّف كتابًا سماه : الدامغ . زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة ، فسبحان من دمغه ، فأخذه وهو في شرخ الشباب .

وكان يعترض على القرآن ، ويدعي عليه التناقض وعدم الفصاحة ، وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه ، فكيف بالألكن[1] .

قال ابن كثير :

أحد مشاهير الزندقة ، كان أبوه يهوديًا ، فأظهر الإسلام ، ويقال : إنه حرّف التوراة ، كما عادى ابنه القرآن بالقرآن ، وألحد فيه ، وصنف كتابًا في الرد على القرآن سماه : الدامغ . وكتابًا في الرد على الشريعة ، والاعتراض عليها سماه : الزمردة ، وكتابًا يقال له : التاج في معنى ذلك .

قال الجبائي : قرأت كتاب هذا الملحد الجاهل السفيه ابن الراوندي ، فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء، قال: وقد وضع كتابًا في قدم العالم، ونفي الصانع ، وتصحيح مذهب الدهرية ، والرد على أهل التوحيد ، ووضع كتابًا في الرد على محمد رسول الله ﷺ في سبعة عشر موضعًا ، ونسبه إلى الكذب- يعني: النبي - ﷺ - وطعن على القرآن، ووضع كتابًا لليهود والنصارى، وفضل

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١١ - ١١٢ مطبعة الجزيرة دار السلام .

دينهم على المسلمين والإسلام ، يحتج لهم فيها على إبطال نبوة محمد ﷺ إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام . نقل ذلك ابن الجوزي عنه .

وقد أورد ابن الجوزي في منتظمه طرفا من كلامه وزندقته ، وطعنه على الآيات والشريعة ، وردّ عليه في ذلك ، وهو أقل وأخسّ وأذلّ من أن يلتفت إليه ، وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وتمويهه . وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر ، منها ما هو صحيح عنه ، ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله ، وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة ، يخرجونها في قوالب مسخرة ، وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة ، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الإسلام وهو منافق ، يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه ، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ الآية [التوبة : ٦٥ – ٦٦] .

وقد كان أبو عيسى الورّاق مصاحبا لابن الراوندي – قبّحهما الله – فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى ، فأودع السجن حتى مات ، وأما ابن الراوندي فلجأ إلى ابن لاوي اليهودي ، وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سمّاه : الدامغ للقرآن . فلم يلبث بعده إلا أيامًا يسيرة حتى مات – لعنه الله – ويقال : إنه أخذ وصلب .

قال أبو الوفاء بن عقيل : ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستا وثلاثين سنة ، مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازي في هذا العمر القصير ، لعنه الله ، وقبحه ، ولا رحم عظامه[1] .

قال الذهبي عنه : الملحد ، عدو الدين ، الرِّويندي ، صاحب التصانيف

---

(١) البداية والنهاية (١١ / ١٢٠ – ١٢١) .

في الحطّ على الملة .

قال ابن الجوزي : كنت أسمع عنه بالعظائم ، حتى رأيت له ما لم يخطر على قلب ، ورأيت له كتاب : نعت الحكمة . وكتاب : قضيب الذهب ، وكتاب : الزمردة ، وكتاب : الدامغ الذي نقضه عليه الجبائي ، ونقض عبد الرحمن ابن محمد الخيّاط عليه كتاب الزمردة .

قال ابن عقيل : عجبي كيف لم يقتل ؟! وقد صنف الدامغ يدمغ به القرآن ، والزمردة يُزري فيه على النبوات .

قال ابن الجوزي عن الزمردة : فيه هذيان بارد ، لا يتعلق بشبهة ! .

يقول فيه : إن كلام أكثم بن صيفي فيه ما هو أحسن من سورة الكوثر ! وإن الأنبياء وقعوا بطلاسم . وألف لليهود والنصارى يحتج لهم في إبطال نبوة سيد البشر .

قال أبو العباس بن القاص الفقيه : كان ابن الراوندي لا يستقر على مذهب ولا نِحلة ، حتى صنف لليهود كتاب النصرة على المسلمين لدراهم أُعطيَها من يهود . فلما أخذ المال ، رام نقضها ، فأعطوه مئتي درهم حتى سكت .

قال في بعض المعجزات : يقول المنجم كهذا .

وقال : في القرآن لحن .

وقال : يقولون : لا يأتي أحد بمثل القرآن . فهذا إقليدس لا يأتي أحد بمثله ، وكذلك بطليموس . قيل : إنه اختلف إلى المبرد فقال المبرد : لو اختلف إليّ سنة لاحتجت أن أقوم وأجلسه مكاني .

لعن الله الذكاء بلا إيمان ، ورضي الله عن البلادة مع التقوى[1] فكان جزاء الزنديق من جنس عمله ، ودمغه الله ولم يمهله بعد ما ألف الدامغ جزاءً وفاقًا .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٥٩ – ٦٢) .

○ أبو العلاء المعري لا رحمه الله ○

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان سمى نفسه : رهين المَحْبَسَيْن .

قال ابن الجوزي : وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الإلحاد ، وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ، ولم يزل متخبطًا في تعثيره ، خائفًا من القتل إلى أن مات بخسرانه[1] .

وكل صاحب فرية ذليل جزاءً وفاقًا ، أعثر الناس ، وأخسأهم قدرًا ، وأردأهم عيشًا .

قال ابن كثير :

أبو العلاء المعري التنوخي الشاعر المشهور بالزندقة ، دخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريدًا منهزمًا ، لأنه سأل سؤالًا بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله ، فقال :

تناقضٌ ما لنا إلا السكوت له   وأنْ نعوذَ بمولانا من النارِ
يدٌ بخمس مئين عَسْجَدٍ وُدِيتْ   ما بالها قطعت في رُبْع دينارِ

وهذا من إفكه ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت .

ولمّا عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله فكان لا يخرج منه .

وقد كان ذكيًّا ولم يكن زكيًّا ، وفي بعض أشعاره مايدل على زندقته ، وانحلاله من الدين ، ومن الناس من يعتذر عنه ويقول : إنه كان يقول ذلك مجونًا ولعبًا ، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد كان باطنه مسلمًا . قال ابن عقيل

---

(١) تلبيس إبليس ص ١١٢ .

لمّا بلغه : وما الذي ألجأه أن يقول في دار الإسلام ما يكفره به الناس ؟ والمنافقون مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه ، لأنهم حافظوا على قبائحهم في الدنيا وستروها ، وهذا أظهر الكفر الذي تسلّط عليه به الناسِ وزندقوه ، والله يعلم أن ظاهره كباطنه .

قال ابن الجوزي : وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتابا سماه : الفصول والغايات ، في معارضة السور والآيات ، على حروف المعجم في آخر كلماته ، وهو في غاية الركاكة والبرودة ، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته ، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الله أشياء كثيرة .

فمن ذلك قوله :

إن كان لا يحظى برزقك عاقل ... وترزق مجنونًا وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرىء ... رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

وقوله :

ألا إن البريـة فـي ضلالٍ ... وقد نظر اللبيب لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى ... وأوقع في الخسار من اقتراها
فقال رجالهُ : وحيٌ أتـاه ... وقال الناظرون : بل افتراهـا
وما حجي إلى أحجار بيت ... كروس الخمر تشرفُ في ذراها
إذا رجع الحليم إلى حجاهُ ... تهاون بالمـذاهب وازدراهـا

وقوله :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدتْ ... ويهودُ جارتْ والمجوسُ مضللهْ
اثنان أهل الأرض : ذو عقل بلا ... دينٍ وآخر دَيِّنٌ لا عقل له

وقوله :

فلا تحسب مقال الرسل حقًّا ... ولكنْ قـولَ زور سطـروهُ
وكان الناس في عيش رغيدٍ ... فجـاءوا بالمحـالِ فكـدّروه

وقلت أنا معارضة عليه :

فلا تحسب مقال الرسل زورا ولكنْ قولَ حقّ بلّغُوهُ
وكان الناس في جهل عظيم فجاءوا بالبيان فأوضحوهُ

وقوله :

إن الشرائع ألقت بيننا إحَنًا وأورثتنا أفانين العداواتِ
وهَلْ أبيحتْ نساء الروم عن عُرُضٍ للعُرْبِ إلا بأحكامِ النبوّاتِ

وقوله :

وما حمدي لآدم أو بنيه وأشهد أن كلهمُ خسيسُ

وقوله :

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناتكمْ مكرًا من القدما

وقوله :

صرفُ الزمان مفرّقُ الإلفينِ فاحكم إلهي بين ذاك وبيني
ونهيتَ عن قتل النفوس تعمّدًا وبعثت تقبضها مع الملكينِ
وزعمت أن لها معادًا ثانيًا ما كان أغناها عن الحالينِ

وقوله :

ضحكنا وكان الضحكُ منّا سفاهة وحُقَّ لسكان البسيطةِ أن يبكوا
تحطمنا الأيامُ حتَّى كأننا زجاج ولكن لا يعودُ له سبكُ

وقوله :

أمور تستخفُّ بها حلومٌ وما يدري الفتى لمن الثبورُ[1]
كتاب محمدٍ وكتابُ موسى وإنجيل ابن مريم والزبورُ

وقوله :

---

(١) الهلاك . وعند الذهبي أول البيت :
عقول تستخف بها سطور

قالت معاشر لم يبعث إلهكمُ إلى البريّة عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا الرحمٰن مأكلةً وصيرّوا دينهم في الناس ناموسا

وذكر ابن الجوزي وغيره أشياء كثيرة تدل على كفره، بل كل واحدة من هذه الأشياء تدل على كفره، وزندقته وانحلاله، ويقال: إنه أوصى أن يكتب على قبره.

هذا جناه أبي عليَّ وما جنيتُ على أحدْ

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار، وهو لم يجنِ على أحد بهذه الجناية، وهذا كله كفر وإلحاد، قبّحه الله.

وقد زعم بعضهم أنه أقلع عن هذا كله وتاب منه، وأنه قال قصيدة يعتذر فيها من ذلك كله، ويتنصّل منه، وهي القصيدة التي يقول فيها:

يا منْ يرى مدّ البعوض جناحها في ظلمة الليلِ البهيمِ الأليلِ[1]
ويرى نياط عروقها في نحرها والمخُّ في تلك العظام النُّحلِ
امنن عليّ بتوبة تمحو بها ما كان منّي في الزمان الأوّلِ

وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة حتى قال بعضهم في مرثاة له:

إن كنت لم تُرِقِ الدماء زهادةً فلقد أرقت اليوم من جفني دمًا

قال ابن الجوزي: وهؤلاء الذين رثوه والذين اعتقدوه: إما جهّال بأمره، وإمّا ضُلّال على مذهبه وطريقه.

وقد رأى بعضهم في النوم رجلًا ضريرًا على عاتقه حيتان مدليتان على صدره، رافعتان رأسيهما إليه، وهما ينهشان لحمه، وهو يستغيث، وقائل يقول: هذا المعري الضرير[2]- الملحد.

وذكر ابن خلّكان أنه أوصى أن يكتب على قبره:
هذا جناه أبي علي ..

---

(١) الكثير الظلمة.
(٢) رأى هذا المنام أبو غالب بن نبهان من أهل الخير والفقه، انظر سير أعلام النبلاء (١٨ / ٣٤).

قال ابن خلكان : وهذا أيضًا باعتقاد الحكماء ، فإنهم يقولون اتخاذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها[1] اهـ .

يقول عنه الذهبي : أبو العلاء ، شيخ الآداب ، اللغوي الشاعر ، صاحب التصانيف السائرة ، والمتهم في نحلته .

ومن أردأ تواليفه : رسالة الغفران . في مجلد ، وقد احتوت على مَزْدَكةٍ وفراغ ، ورسالة الملائكة ، ورسالة الطير على ذلك الأنموذج .

قال الباخرزي : أبو العلاء ضرير ماله ضريب ، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف ، ومحجوب خصمه الألد محجوج ، قد طال في ظل الإسلام آناؤه ، ورشح بالإلحاد إناؤهُ ، وعندنا خبر بصره ، والله العالم ببصيرته ، والمطّلِعُ على سريرته ، وإنما تحدثت الألسن بإساءته ، بكتابه الذي عارض به القرآن ، وعنونه بـ : الفصول والغايات في محاذاة السور والآيات .

وقال غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن : له شعر كثير ، وأدب غزير ، ويرمى بالإلحاد ، وأشعاره دالة على ما يُزَنُّ به[2] .

ويظهر الصوم دائما ، قال : ونحن نذكر مما رمي به فمنه :

قران المُشتَرى زُحَلًا يُرَجَّى ... لإيقاظ النواظرِ من كرَاهَا
تَقَضَّى الناسُ جيلًا بعد جيلٍ ... وخُلِّفتِ النجومُ كما تراهَا
تقدم صاحب التوراة موسى ... وأوقع بالخسار مَنِ اقتراهَا
وما حجي إلى أحجار بيتٍ ... كؤوس الخمر تُشرب في ذراهَا
إذا رجع الحكيم إلى حِجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراهَا

---

(١) البداية والنهاية (١٢ / ٧٧ - ٨١) .

(٢) ما يرمى به ويتهم .

ومنه[١] :

قلتم لنا خالق قديم صدقتُمُ هكذا نقولُ
زعمتموه بلا زمانٍ ولا مكان ألا فقولوا
هذا كلامٌ له خَبِيءٌ معناه ليست لكم عقول

ومنه[٢] :

دينٌ وكفرٌ وأنباءٌ تقال وفُرْ قانٌ يُنَصُّ وتوراةٌ وإنجيلُ
في كل جيلٍ أَباطيلٌ يُدان بها فهل تفرّد يوما بالهدى جيلُ

فأجبته :

نعم أبو القاسم الهادي وأمته فزادك الله ذلًّا يا دُجَيجيلُ

ومنه[٣] :

وإنما حَمّل التوراة قارئها كسبُ الفوائدِ لا حُبُّ التلاواتِ
وهل أُبيحت نساء الروم عن عُرُضٍ[٤] للعُرْبِ إلا بأحكام النبواتِ

وعن التبريزي : قال : لمّا قرأت على أبي العلاء :

تناقض ما لنا إلا السكوتُ له وأن نعوذ بمولانا من النارِ
يد بخمس مئٍ[٥] من عسجد وُدِيَتْ ما بالُها قُطِعَتْ في ربع دينارِ

سألتهُ ، فقال : هذا كقول الفقهاء عبادة لا يعقل معناها .

قال كاتبه : لو أراد ذلك ؛ لقال : تعبُّد ، ولما قال : تناقض ، ولما أردفه ببيت آخر يعترض على ربه .

---

(١) اللزوم (٢ / ٢٧٠) .
(٢) اللزوم (٢ / ٢٦٨) ، وفيه : وأنباء تُقَصُّ بدل : تقال .
(٣) اللزوم (١ / ٢٢٨) .
(٤) يضربون الناس عن عرض : لا يبالون من ضربوا .
(٥) مئٍ بميم مكسوره وهمز منونة : من جموع المئة ، وفي اللزوم (١/٥٤٤) بخمس مئين .

وبإسنادي قال السلفي : إن كان قاله معتقدًا معناه ، فالنار مأواه ، وليس له في الإسلام نصيب ، هذا إلى ما يُحكى عنه في كتاب : الفصول والغايات ، فقيل له : أين هذا من القرآن ؟ فقال : لم تَصْقُلْهُ المحاريب أربعمائة سنة .

قال الذهبي : ويظهر لي من حال هذا المخذول أنه متحير ، لم يجزم بنحلة ، اللهم فاحفظ علينا إيماننا .

قال الذهبي : قد طال المقال ، وما على الرجل أُنسُ زهاد المؤمنين ، والله أعلم بما ختم له . ومن خبيث قوله[١] :

أتى عيسى فَبَطَّلَ شرعَ موسى[٢] وجاء محمدٌ بصلاةِ خَمْسِ
وقالوا لا نبيٌّ بعد هـذا فَضَلَّ الناس بين غدٍ وأمسِ[٣]
ومهما عِشتَ من دنياك هذي فما تُخْليكَ من قمرٍ وشمسِ
إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صوتي وإن قلتُ اليقين أطلت همسي[٤]

قال طه حسين في تجديد ذكرى أبي العلاء :

أبو العلاء كان منكرًا للنبوات ، جاحدًا لصحتها ، وقد نصّ على ذلك في اللزوميات صراحة غير مرة ، فطورًا يثبت أنها زور ، وطورًا يجعلها مصدر الشرور ، وافتن في ذلك افتنانًا عجيبًا ، فلم يكتف بإنكار النبوات ، حتى أنكر الديانات عامة .

ويقول في التعريض بالإسلام خاصة :

تَلَوْا باطلًا وجَلَوْا صارمًـا وقالوا صَدَقْنَـا فقلنـا نَعَـمْ

ويقول في التعريض بالنبي ﷺ :

ولستُ أقولُ إن الشهبَ يومًا لبَعْث محمدٍ جُعِلتْ رجومًا

---

(١) اللزوم (٢ / ٥٥ - ٥٦) .
(٢) في اللزوم : دعا موسى فزال وقام عيسى .
(٣) في اللزوم :
وقيل يجيء دين غير هذا وأودى الناس بين غدٍ وأمسِ
(٤) وإن قلت الصحيح .. سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٣ - ٣٩) .

ويقول في ذلك مُعَرِّضا بقصة خيبر :

ومحمد وهُو المنَبأ يشتكي　　لمكان أكلته انقطاع الأبهر

ويقول :

وإذا ما سألتَ أصحاب دين　　غيروا بالقياس ما رتَّبوهُ

لا يدينون بالعقول ولكنْ　　بأباطيلَ زخرفٍ كذبّوهُ

ويقول :

بَنَتِ النصارى للمسيح كنائسًا　　كادت تعيبُ الفعلَ من مُنْتَابها

ومتى ذكرتَ محمدًا وكتابه　　جاءت يهودُ بجحدها وكتابها

وانظر إلى السخرية في قوله :

أَفَمِلَّةَ الإسلام ينكر منكرٌ　　وقضاء ربك صاغها وأتى بها

ويقول :

غدا أهل الشرائع في اختلاف　　تُقَضُّ به المضاجع والمهودُ

فقد كذبت على عيسى النصارى　　كما كذبت على موسى اليهودُ

وانظر إلى تعريضه بالإسلام :

ولم تستحدثِ الأيامُ خلقًا　　ولا حالتْ من الزمن العهودُ

ومثل هذا كثير منبث في اللزوميات ، لم نشأ أن نسرف في روايته اتقاء الإطالة ، وخشية الإملال ، وهو يدل على أن روح الرجل لم يكن روح مؤمن بالنبوات ، ولا مصدقٍ للأنبياء[1] .

وقال أيضًا :

وقال في إنكار ما في القرآن من تقسيم فرائض الميراث :

حيرانُ أنتَ فأي الناس تَتَّبعُ　　تجري الحظوظ وكلّ جاهلٌ طَبعُ

والأم بالسُدسِ عادتْ وهي أرأف مِنْ　　بنتٍ لها النصف أو عِرْس لها الرُّبُعُ

وقد أجمع المؤرخون على أنّ أبا العلاء ، عارض القرآن بكتاب سماه :

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء لطه حسين طبع دار المعارف ص ٢٦٩ - ٢٧١ .

الفصول والغايات في محاكاة السور والآيات . وأبو العلاء نفسه لم ينكر هذا الكتاب ، بل أثبته في ثبت كتبه ، الذي رواه القفطي والذهبي ، والناس يكفرون أبا العلاء بهذا الكتاب ، وبما في رسالة الغفران من سخرية ، وبما في اللزوميات من إنكار النبوات[1] .

أما موقفه من البعث :

فيقول طه حسين : اضطرب رأي أبي العلاء في البعث اضطرابًا شديدًا ، فمرة أثبته ، فقال :

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تُحشرُ الأجسامُ قلت إليكما

إنْ كان رأيكما فلستُ بخاسرٍ ... أوْ صحّ قوليَ فالخسار عليكما

وتارة ينكره نصا ، بل نفاه أكثر من ستين مرة في اللزوميات ، ومن أشنع قوله في ذلك :

وزعمتِ أن لها معادًا ثانيًا ... ما كان أغناها عن الحالين

وتارة يقف في أمر البعث موقف الشك فيقول :

يا مرحبا بالموت من مُتَنَظَّر ... إن كان ثَمَّ تعارفٍ وتلاقِ[2]

الجن والملائكة :

قال طه حسين : أبو العلاء أنكر الجن والملائكة في اللزوميات نصًّا فقال :

قد عشت عمرًا طويلًا ما علمت به ... حسًّا يحسّ لجنيٍّ ولا مَلَكِ

وقال :

فاخش المليك ولا توجَد على رَهَب ... إنْ أنتَ بالجنِّ في الظلماء خُشِّيتا

فإنما تلك أخبار ملفَّقةٌ ... لخدعة الغافل الحشويّ حوشيتا

ورسالة الغفران مملوءة بالسخرية المؤلمة من الجن والملائكة جميعًا ، وقد نظم

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٢) تجديد ذكرى أبي العلاء ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

الشعر في رسالة الغفران على ألسنة الجن الذين دخلوا الجنة ، فقال – وإنما يريد الهزء والسخرية – :

مكةُ أقوتْ من بني الدردبيس   فما لجنّي بها من حسيس[(١)]

أصل الإنسان :

شك في أصل الإنسان فقال :

جائز أن يكون آدم هذا   قبلـه آدمٌ على إثـر آدمْ

ثم جزم بذلك فقال :

وما آدم في مذهب العقل واحدٌ   ولكنّه عند القيـاس أوادمُ

وتمنى أبو العلاء لو أن الإنسان لم يوجد ؛ لأنه شرير مفسد في الأرض فقال :

ياليت آدم كان طلقّ أمهم   أو كان حرّمها عليه ظهارُ

ولدتهمُ في غير طهر عاركا   فلذاك تفقد فيهم الأطهـارُ

وهو لا يفرق في حكم العقل بين ابن الحرة وابن الزانية فيقول :

وسيّان مـن أمـه حـرّة   حَصَانٌ ومَنْ أمّه زانيـهْ

ويقول :

ما ميزّ الأطفال في أشباحها   للعين حِـلّ ولادة وظهـارُ

وبالغ أبو العلاء في كره الوجود حتى استحسن من وأد البنات ما حرّمه الله :

ودفنٌ والحوادث فاجعـات   لإحداهن إحدى المكرمـات

واستحسن غير مرة تحريق الهند موتاهم وأحبه ، وفي ذلك يقول :

فاعجبْ لتحريقِ أهلِ الهند ميتهمْ   وذاك أروحُ من طول التباريحِ

إن حَرّقوه فما يَخْشَوْن من ضبع   تسري إليه ولا خَفي وتطريحِ

والنار أطيب من كافور ميتنا   غبًّا وأذهب للنكراء والريحِ

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ص ٢٦٩ .

وذهب المعري إلى تحريم أكل الحيوان وما يخرج منه فمن ذلك قوله :

غَدوتَ مريض العقل والدين فالقني لتسمع أنباء الأمور الصحائحِ
فلا تأكلَنْ ما أخرج البحُر ظالمًا ولا تبغ قوتا من غريض الذبائحِ
ولا بيض أمّات أرادتْ صريحَه لأطفالها دون الغواني الصرائحِ
ولا تفجعن الطير وهي غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائحِ
ودَع ضربَ النحل الذي بكرت له كواسبَ من أزهار نبت فوائحِ
فما أحرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائحِ
مسحت يدي من كل هذا فليتني أبَهْتُ لشاني قبل شيْب المسائحِ

وجازاه الله بنحلته ، وبما قال عن ملته بحبس الدنيا قبل الآخرة ، فحبسه في جسده ، وهذا أشد الحبس .

واللفظ الذي اختاره لنفسه ، وكان يحب أن ينادى به رهين المحبسين وإنما أراد بالمحبسين منزله الذي احتجب فيه ، وذهاب بصره ، على أنه ذكر لنفسه في اللزوميات سجونا ثلاثة : أحدها منزله ، والآخر ذهاب بصره ، والثالث : جسمه المادي الذي احتبست فيه نفسه أيام الحياة ، وذلك حيث يقول :

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النَّبيثِ[1]
لفقدي ناظري ولـزوم بيتـي وكون النفس في الجسم الخبيثِ

فهذه صورة الأديب الفيلسوف الذي خُدع الناس به طويلًا ، الذي أنكر النبوات ، عرّض بالتكليف ، وعارض القرآن ، وهزىء بشيء من أحكامه :

سيسأل قوم ما الحجيج ومكةٌ كما قال قوم ما جَديسٌ وما طَسَمْ

هذا الذي رأى التقية :

لا تخبرنَّ بكنه دينك معشرًا شُطُرًا وإن تفعل فأنت مُغَرَّرُ

وقال :

فاكتم حديثك لا يشعرْ به أحدٌ من رهط جبريل أو من رهط إبليس

(١) انظر تجديد ذكرى أبي العلاء .

لقد حبس في جسده ذليلا في دار الدنيا ، والله الموعد ، ويكفيك أنه رأى أن من الظلم أن يضاف إلى التصعيد والعلو ، وإنما العدل أن يضاف إلى السقوط والهبوط ، وبها نطق جزاءً وفاقًا ، فقال :

دُعيتَ أبا العلاء وذاك مينٌ ولكن الصحيح أبا النزول

○ الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك[1] ○

لا تعجب من قول كثير من المؤرخين : إن أتاتورك كان صربيًّا أو بلغاريًّا .

لم يتحدث عن والده يومًا ، وروايات كثيرة لا تقل نسبتها عن تسعين في المائة من الروايات أنه كان من سفاح .

تناظر مدهش وعادل بين كون مصطفى كمال ثمرة حرام من الناحية الروحية ، وبين كونه ثمرة حرام من الناحية المادية ، يحمل في طياته معنًى كبيرًا . كيف أن هذه الروح السافلة كانت تستند في عالم المادة إلى أساس سافل ؟ وأن هذه السفالة في الروح والمادة تأتي في الحقيقة من كون مصطفى كمال عدوًّا لله وعدوًّا لرسول الله .

مصطفى كمال القائل : لقد انتهى العهد الذي كان الشعب فيه يخدع بكلمات هي خاصة بالطبقات الدنيا ، أمثال : كربلاء ... حفيد الرسول ... الإيمان ... السيف ... القدس .

مصطفى أتاتورك الذي ألغى الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٢ ، وقال عن الذين يقولون : إن الخلافة والسلطنة وحدة لا يمكن تجزئتها قال : إنها سفسطة معهودة .

وفي اليوم الأول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ تُعْلن الجمهورية وانتخاب مصطفى كمال أتاتورك رئيسًا للجمهورية التركية .

وبعد ٤ أشهر من انتخابه رئيسًا يوفي لأسياده الإنجليز وللحاخام نعوم ، منفذ الخطة اليهودية لهدم الخلافة العثمانية ، فيعطي قراره :

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة بتصرف من كتاب الرجل الصنم تأليف ضابط تركي سابق ، ترجمة عبد الله عبد الرحمن « مؤسسة الرسالة » .

لقد آن وقت إلغاء الخلافة ، وتلغى معها وزارة الشرعية ، ووزارة الأوقاف ، ولن ندع هناك مدرسة دينية .

يتقرر إخراج الخليفة مع جميع أفراد عائلته من البلاد . وبعد ذلك يجبر الأتراك على ارتداء القبعة ، وهي العلامة الثالثة عند النصارى بعد الصليب والزنار ، كانت علامة دينية وضعت من قبل المسيحين أثناء المعارك الصليبية ، ثم أصبحت قومية ، وقد اعتبرت القبعة كعلامة للكفر بفتوى من الإمام النووي ، وتنصب المشانق من أجل المعارضين لارتدائها ، ويفرض العلمانية على تركيا ، ويقول عنها : إنها تعني أن نكون آدميين آدميين . ويغير أحرف الكتابة إلى الأحرف اللاتينية .

مصطفى أتاتورك الذي باع أذربيجان للروس ، عند ما طلب من الأذربيجانيين السماح بدخول الجيوش الروسية بحجة أنها متوجهة إلى مساعدة تركية ، وبعد أن دخل البلاشفة إلى أذربيجان لم يخرجوا منها ولم يرسلوا جيوشًا إلى تركيا .

مصطفى أتاتورك الذي على مائدة الخمر ، وسط الدعارة والفجور ، يشير إلى راقصة داعرة نبيلة هانم ، فتقرأ أذان الفجر .

عدوه الأكبر رسول الله ﷺ .

كان في فندق « بارك » ، وكان المؤذن يقرأ الأذان في المسجد الصغير الكائن أمام الفندق مباشرة ، يلتفت أتاتورك لمن حوله قائلًا : من قال بأننا مشهورون ؟ وما شهرتنا نحن ؟ انظروا إلى هذا الرجل[1] كيف أنه وضع اسمًا وشهرة بحيث أن اسمه يتكرر في كل لحظة ، وفي جميع أنحاء العالم إذا أخذنا فرق الساعات بنظر الاعتبار ؛ ليهدموا هذه المنارة .

مصطفى أتاتورك الذي أراد أن تكون لغة الصلاة التركية .

---

(١) يقصد رسول الله ﷺ .

مصطفى أتاتورك الذي من على مائدة الخمر يصدر أمرًا بتحويل مسجد أيا صوفيا إلى متحف .

أما فحشه وشذوذه وعربدته وسكره ومجونه ، فحدث ولا حرج ، وحدث عن ليالي جانقايا ولا حرج .

يقول شاعره :

لا عنكبوت ولا سحر ..
لتبقى الكعبة لدى العرب ...
لأن جانقايـا تكفينـا ...

يتزوج من لطيفة هانم ، وتجده رجلًا سكيرًا ، ويشاء الله أن يفضحه على لسان زوجته ، فهو عديم الرجولة وعنين ، بل وشاذ وشذوذه مع وداد بن خالد ضياء معروف ، وكان سببًا لطلاق زوجته منه ، قائلة له : لقد رأيت كل شيء فيك ، وتحملت كل شيء ولكني لا أستطيع تحمل هذا ! بعد ما رأته مع هذا الشاب الأمرد .

هذا الفاجر الذي حاول الاعتداء على المحارم ، فقد حاول الاعتداء على شقيقة زوجته الصغرى ، ولكن البنت تخلصت من يديه بصعوبة ، وهرعت إلى غرفة شقيقتها ، ودخل مصطفى كمال إلى الغرفة وفي يده مسدس ، واحتضنت زوجته شقيقتها وأصبحت سترًا بينهما ، وسحب مصطفى كمال الزناد ، ولكن لحسن الحظ فإن خادمه بكر أسرع إليه ، وأمسك بيده ، فطاشت الرصاصات الثلاث .

كانت حياته شرابًا شرابًا شرابًا للخمر وللعرق ، لا يكاد يفيق منه ، يقترب من صبي ويسأله ، لو وضع أمام حمار دلوان في أحدهما ماء ، وفي الآخر عرق(١) فمن أيهما يشرب ؟ فقال له الصبي : من العرق يا سيدي .

---

(١) خمر .

وكان يقول : إن هذا العرق يعطي النشوة للإنسان .

الغازي أتاتورك الذي كان يذهب إلى دار المعلمات ، ويأخذ جبرًا بنات الأمة البريئات ؛ ليفسق بهن ، إنه يخطف البنات مثل قطاع الطرق .

وكان يستعمل وزير خارجيته توفيق رشدي سمسارًا لشهواته .

أما عشيقاته فحدث ولا حرج ، صالحة ، وفكرية ، وآفة هانم عشيقته الدائمة ، التي أوصى لها عند موته . زد على ذلك كانت هناك ما بين ٢٠ إلى ٣ من النساء والفتيات الشابات ، المختارات بشكل خاص ، وأطلق عليهن : بناته بالتبني . ويوصي لهن عند موته بمقادير ثابتة طيلة حياتهن . وكنَّ يقمن بالرقص في حفلاته ، وهن شبه عاريات ..

بل في قصره كانوا يلبسون الجرسونات الرجال ملابس النساء ويرقصونهم .. رائحة الغلمنة والشذوذ أمام أنظار النساء .

وفي مرض موته ، في قصره ابتلاه الله بحشرات صغيرة حمراء لا ترى بالعين ، حتى اضطرته إلى الحك والحك الشديد أمام زواره ، حتى ظهرت على وجهه ، وأمر بتعقيم البيت بأقوى الأدوية وأكثرها فاعلية .

ويكتب مستشار وزارة الصحة ما يلي : نعم صحيح أنه وجد نمل في بعض أرجاء القصر ، حتى إن المختصين أثبتوا أنه نوع من النمل المهاجر من الصين إلى أوروبا ، ولم يكن يخطر ببال أحد احتمال أن هناك وراء الحكة سببًا آخر ؛ لذلك فقد روجعت هيئة الأركان العامة ، حيث أحيل الأمر إلى متخصصين من القوة البحرية ، ويحضر طاقم من مدمرة ياووز ؛ لتصيد النمل الذي في القصر ، مدمرة ياووز الموجودة في ميناء أزميت يا للجنون !! فلمَ لم يطلبوه من حامية أنقرة ، جنود ومدمرة لسحق النمل !!

﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [المدثر : ٣١] .

وانظر إلى حكمة الله ؛ فإنه بالرغم من كونه محاطًا بالأطباء والأخصائيين

وأساتذة الطب ، لم يكتشفوا أنه كان مريضًا بالكبد ، وذاق مر العذاب من سنة ١٩٣٦ حتى اكتشفوا المرض سنة ١٩٣٨ الذي يعرفه أقل الأطباء معرفة بالطب . وابتلاه الله بتليف الكبد الذي أدى إلى الاستسقاء ، واحتاج إلى سحب الماء من بطنه بالإبر ، وكان يصيح بمن حوله والأطباء : اسحبوا المياه[1] حالًا .. اسحبوها كلها .. لا تدعوا شيئًا منها .

وفي يوم الخميس العاشر من أكتوبر يرحل إلى مزبلة التاريخ .. يرحل عن هذا العالم ويدور جدال حول الصلاة عليه ، وكان من رأي رئيس الوزراء ألَّا يصلى عليه ، وحدث خلاف مع قائد الجيش الأول ، وأخيرًا وبعد جدل وافقوا أن يُصلَّى عليه ، ولكن من الذي أمّ الناس ؟

إذا كان الغراب دليلَ قومٍ فلا فلحوا ولا فلح الغرابُ

إنه مدير الأوقاف شرف الدين أفندي الذي أصبح رئيسًا للشئون الدينية في عهد أينونو ؛ حاول إقناع أينونو بالقيام بكفر لم يستطع أتاتورك نفسه القيام به ، وهو جعل الترجمة التركية للقرآن الكريم لغةً للعبادة، وفرض قراءتها في الجوامع، بقوة القانون ... ويالله أتاتورك يصلي عليه شرف الدين هذا ، وافق الشن الطبق .

وعرضوا جثمانه لزيارة الناس ثلاثة أيام بلياليها .

ومات نتيجة الازدحام الشديد أربعة عشر شخصًا ، وفقدت بعض البنات بكارتهن بأصابع عديمي الحياء ، مارسوا هذا أمام تابوته الرصاصي كعادة الصليبيين .

أتاتورك الجبان :

من خاف الله أخافَ منه كل شيء ، ومن لم يَخَفِ الله أخافه الله من كل شيء ، كان في مدرسة الزراعة على إحدى القمم ، وكانت الرياح شديدة ، وكانت تثير الغبار ؛ ولأجلها تحرك الأبواب ، فتحدث أصواتًا ، ويهب الغازي

(١) أي من بطنه .

مذعورًا من مكانه مذعورًا قلقًا ، قائلًا : أليس هذا صوت رشاشة ؟ ولم يحدث هذا مرة واحدة فقط ، بل عدة مرات ، فيقولون له : إنه صوت الباب المندفع بسبب الريح ، ولكنه لا يصدق ، فيقوم ويتطلع من النافذة ، ثم يرسل من يحقق السبب ، وأخيرًا حاول في أحد الأيام الهروب من هذا المكان بعد أن جمع جميع ملابسه ، ولكن جلال عارف وآخرين وقفوا أمامه ومنعوه . هذا علمًا بأن حرَّاسًا له كانوا موجودين على الدوام في خيمة في الحديقة الخلفية للمدرسة .

وقصة أخرى يحكيها المارشال فوزي جاقماق : في أحد الأيام ، وبينما كانوا جلوسًا في مجلس الأمة الأعلى ظهرت عبر النافذة الخلفية للبناء سحابة كبيرة من الغبار ، وكأنها صادرة من عشرات الألوف من الأقدام المسرعة في ناحية السَّهْل ، وعندما رأى أتاتورك هذا المنظر تهيأ للهرب قائلًا : هذه جيوش الخليفة آتية . ثم ظهر بأنه لم يكن هناك سوى قطيع كبير من الغنم . فأُرسل رجلٌ خلف الغازي ؛ لتأمين رجوعه .

إيه يا أتاتورك ، يا مسخرة التاريخ .. نملٌ وغنمٌ فلم التطاول ؟

والجزاء من جنس العمل .

أتاتورك الذي ألغى أعياد الفطر والأضحى ، وجعل يوم الأحد هو يوم العطلة الأسبوعية بدلًا من الجمعة ، ومنع الحج ، بل وأغرب من هذا أن هذا الذي رمرم من فتات الغرب قوتا ، له واقعة مثيرة ، تنقلها جريدة الأهرام التي قامت بنقلها من جريدة : صندي تايمز في يوم الخميس ١٥ فبراير سنة ١٩٦٨ ، تحت عنوان : كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية . هل بعد هذا تبعية وولاءٌ لبريطانيا التي أسقطت دولة الخلافة على يد عميلها أتاتورك .

وأخيرا « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم » .

وأي ظهور للفاحشة أكثر من الرقص، والعهر، والاغتصاب، والعشيقات،

والبنات بالتبني لممارسة الرذيلة .. ورقص النساء عاريات ، وسط موائد الخمر .

أراد أتاتورك أن يمتع نفسه بالشهوة الحرام ، فابتلاه الله بالأوجاع والأسقام .

والجزاء من جنس العمل .

وحرمه الله من الرجولة ونعمة الأولاد ؛ لأنه كان عقيمًا بسبب إصابته بالزهري ، وبسببه أصيبت زوجته بالسيلان المزمن .

ولم تتورع امرأته عن إذاعة سر عقمه .

والجزاء من جنس العمل .

هذه صفحة سوداء لقزم دجال ألغى الخلافة ، هذا الماسوني الذي جعله علمانيو العرب مثلهم الأعلى .

عادت أغاني العرسِ رَجْعَ نُواحِ ... ونُعيتِ بين معالمِ الأفراحِ
كُفِّنتِ في ليل الزفاف بثوبه ... ودُفنتِ عند تَبلُّج الإصباحِ
شُيِّعتِ من هلعٍ بعبرة ضاحكٍ ... في كل ناحيةٍ وسكرةِ صاحِ
ضجَّت عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبكت عليكِ ممالكٌ ونواحِ
الهند والهةٌ ومصر حزينةٌ ... تبكي عليك بمدمع سَحَّاحِ
والشام تسألُ والعراقُ وفارسٌ ... أمحا من الأرض الخلافة ماحِ
أتت لك الجمعُ الجلائل مأتمًا ... فقعدن فيه مقاعد الأنواحِ
ياللرجال لحُرة موءودةٍ ... قُتلتْ بغير جريرةٍ وجناحِ
إنَّ الذين أسَتْ جراحك حربهمْ ... قتلتك سلمُهمو بغيرِ جراحِ
هتكوا بأيديهم مُلاءة فخرهم ... مَوْشيَّة بمواهب الفتاحِ
نزعوا عن الأعناقِ خير قلادةٍ ... ونَضَوْا عنِ الأعطافِ خير وشاحِ
حَسَب أتى طولُ الليالي دونه ... قد طاحَ بين عشيَّةٍ وصباحِ
وعلاقة فُصمتْ عُرى أسبابها ... كانت أبرَّ علائق الأرواحِ
جَمَعت على البرِّ الحُضورَ وربما ... جمعت عليه سرائرَ النُّزَّاحِ

نظمت صفوفَ المسلمين وخطوهم في كل غدوة جُمعةٍ ورواحِ
بكت الصلاةُ ، وتلك فتنةُعابث بالشرعِ عربيد القضاء وقاحِ
أفتى خزعبلةً وقال ضلالةً وأتى بكفر في البلاد بواحِ
إن الغرور سقى الرئيس براحِهِ كيف احتيالك في صريع الراحِ؟
نقل الشرائع والعقائد والقرى والناسَ نقل كتائبٍ في السَّاحِ
تركتْهُ كالشبح المولَّهِ أُمَّةٌ لم تَسْلُ بعدُ عبادةَ الأشباحِ
هم أطلقوا يده كقيصر فيهمو حتى تناول كلَّ غيرِ مباحِ
غرَّته طاعاتُ الجموع ودولةٌ وجد السواد لها هوى المرتاحِ
فلتسمعنَّ بكل أرضٍ داعيًا يدعو إلى الكذاب أو لسجاحِ
ولتشهدنَّ بكل أرض فتنةً فيها يباع الدين بيع سماحِ
يفتى على ذهب المعز وسيفه وهوى النفوس وحقدها الملحاحِ

* * *

يا أختَ أندلسٍ عليك سلامُ هوت الخلافةُ عنكِ والإسلامُ
نزل الهلال عن السماء فليتها طُوِيَتْ وعمّ العالمين ظلامُ
أزرى به وأزاله عن أَوْجِهِ قَدَرٌ يَحُطُّ البدْرَ وهْوَ تمامُ
خفت الأذانُ فما عليكِ مُوحِّد يسعى ولا الجُمَع الحِسانُ تُقَامُ
وخبتْ مساجدُ كُنّ نورًا جامعًا تمشى إليه الأُسد والآرامُ(1)
وعَفَتْ قبور الفاتحين وفُضّ عن حُفر الخلائف جندل ورِجامُ(2)

○ فرعون القرن العشرين ○

هذا الذي جعل الكنانة كلها سجنًا وبات الشعب شرَّ سجينِ
يـأيها المغـرور في سلطانه أمن النضار خُلِقتَ أم مِنْ طينِ

---

(1) الرئم : الظبي الأبيض .

(2) الجندل : الحجارة .. والرجام .. ما يبنى على البئر وتعرض فوقه الخشبة للدلو .

يا من أسأت لكلّ من قد أحسنوا ... لكَ دائنينَ فكنتَ شر مدينِ
يا ذئب غدرٍ نصّبوهُ راعيًـا ... والذئبُ لم يك ساعة بأمينِ
يا من زرعت الشرَّ لن تجني سوى ... شرٍّ وحقدٍ في الصدورِ دفينِ
هل عُدت إلا بالهزيمة مرّةً ... وربحت غيرَ خسارة المغبونِ
وحفرتَ في كل القلوب مغاوِرًا ... تهوي به سَفَلًا إلى سجّيـنِ
وبنيتَ من أشلائِنـا وعظامِنـا ... جسرًا بـه نرقـى لعلييـنِ
وصنعت باليدِ نعش عهدك طائعًا ... ودققت إسفينـا إلى إسفيـنِ

وقال الشاعر عنه أيضًا :

وإذا رئيسهمو يرى في نفسه ... ملكَ الملوكِ ووارثَ الفرعونِ
في نفسه ودمائِه ﴿ أنا ربكم ﴾ ... لا تجعلوا ربًّا لكم من دوني

* * *

لحساب من شنقوا المجاهدَ يوسفًا ... والفرغلي محاربَ السكسونِ[1]
لحساب من غدروا بعودة جهرة ... من غير سلطانٍ عليه مبيـنِ
لحساب من قتلوا وما قد شوّهوا ... من أوجهٍ أو أظهرٍ وبطونِ
مَنْ عذّبوا من شردوا مَنْ جوعوا ... ومَنِ استذلوا من ليوثِ عرينِ
أسمعتَ بالإنسانِ ينفخ بطنـه ... حتى يرى في هيئة البالون ؟!
أسمعتَ بالإنسان يضغطُ رأسه ... بالطوق حتى ينتهي لجنون؟!
أسمعتَ بالإنسانِ يشعلُ جسمه ... نارًا وقد صبغوه بالفزليـن ؟!
أسمعتَ ما يلقى البريء ويصطلي ... حتى يقول أنا المسيء خذوني
أسمعتَ بالآهاتِ تخترق الدُّجى ... ربـاه عـدلك إنهـم قتلونـي

---

(١) الشيخ يوسف طلعت من أبطال حرب فلسطين ، ومن قادة الجهاد ضد الإنجليز . وكذا الشيخ محمد الفرغلي .

وسل السياط السود كم شربت دمًا حتى غدت حُمْرًا بلا تلوين[1]

أي الكلمات تعبر عن قبح هذا الرجل وغيه وتطاوله وتكبره .

إن رجلًا يلقى الله بدم سيد قطب لخفيف الميزان عند الله ، يعاقب سيد قطب وهو يقيم عند أسياده بالكرملين .

هذا الرجل الذي أعدم : يوسف طلعت ، وعبد القادر عودة ، ومحمد الفرغلي وغيرهم ، وغيرهم ، وغيرهم ...

وعذب في السجون من عذب بوسائل فوق إدراك العقول .

أنستْ مظالمهمْ مظالمَ من خلوا حتى ترحمنا على نيــرونِ
حسبوا الزمان أصمَّ أعمى عنهمُ قد نوّموه بخطبة وطنيــنِ
وبراعة التاريخ تسخر منهمو وتقوم بالتسجيـلِ والتدويـنِ
وكفى بربك للخليقة محصيًا في لوحه وكتابه المكنـون

كم من أعراض هتكت ، وعذارى خدشت ، وعمائم بيضاء ضربت وسحقت ، وأرجل تورمت – من طول القيام – جلدت وأنفس أزهقت في سجونه .

لا يتصور الإنسان وضع رجالٍ في بالوعات دورات المياه تطفح عليهم بقاذوراتها حتى رؤوسهم ، وهذا ثابت وغير مبالغ فيه .

هذا القزم الذي دعا للقومية العربية على حساب القومية الإسلامية .

هذا المتلون الذي أفسح المكان للشيوعية والشيوعيين ، وتقلدوا في عصره أرفع المناصب .

هذا الرجل الذي أهان كرامة الأزهر ، ويكفي أن سُيمون دي بفوار عشيقة الداعي للإباحية في عصر هذا الرجل تدخل الأزهر ، ومعها وفد رسمي .

هذا القزم الذي أضاع المحاكم الشرعية ، والاقتصاد الإسلامي ، وكم خربت بيوت بقانونه الإصلاح الزراعي .

---

(١) النونية للقرضاوي .

وفي عهده كم سخر الساخرون من دين الله ، وكم كممت الأفواه . وخاف الناس حتى أوشكوا أن يقولوا : إن الجدار له أذن . وصار الباطل حقًا والحق باطلًا .

يقول أحدهم ساخرًا :

لن يُقال الحق يا ولدي وفي الحق مراءْ
فاعبدِ الطاغوت يا ولدي ودعْ عنك السماءْ
ودَعِ المصحفَ يا ولدي إذا الميثاقُ جاءْ
فبهِ جاء نبيٌّ بزَّ كلَّ الأنبياءْ
وتعلّم لغة القومِ أحاديث الرياءْ
ودَعِ الصدقَ فَإنَّ الصدق طبعُ الأغبياءْ
ولتقل كل صباحٍ ولتقل كل مساءْ
كيف كنا كيف أصبحنا وكيف الأمس ساءْ
هذه مصرُ وفرعونٌ بها كيف يشاءْ
دولة الزور وقد دامت فيا مُرَّ البقاءْ

هذا الذي تطاول كبرياءً وطغيانًا ، وأذلّ أعناق الموحدين الساجدين تعذيبًا وتشريدًا وتنكيلًا ، العميل المزدوج للشرق وللغرب :

هبل .. هبل ..

رمز السخافة والخيانة والعمالة والدجل ..
هتافة التهريج ما ملّوا الثناء ..
زعموا له ما ليس عند الأنبياء ..
مَلَكٌ تجلبب بالضياء وجاء من كبد السماء ..
هو عالم ومعلم هو عبقري ملهم ..
وسعى القطيع غباوة .. يا للبطل ..
وثن يقود جموعهم يا للخجل !!

فأذله الله بأشنع هزيمة ، وسيلقى جزاء ما قدم من قتل آلاف الشباب من الأمة في معركة كانت المباغتة فيها لبني صهيون ، جزاءً وفاقًا ، فالسجن الحربي في ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ شاهد على أن هذا كان جزاءً وفاقًا .

والجزاء من جنس العمل .

ولما مات أبت القبور بأن تكون له الثرى ، وطفحت المجاري في قبره . حتى أغرقته ، مثلما فعل بالموحدين في سجنه الحربي .

والجزاء من جنس العمل .

وعاد مادحه ذامًا بعد موته ، حتى من الذين شاركوه الحكم بعد وفاته تكلموا عنه وعن طغيانه .

وهذا الشر الذي زرعه ما جني به إلا حقدٌ وشرٌّ تفجرَ بعد موته على صفحات جرائده ..

وبقي الظلال، والغريب أن ظلال القرآن كتبه فقيد الإسلام سيد قطب في سجون ناصر وهُرِّب .. وذاع وانتشر حتى في إعلام الطاغية .. يدعو الناس لصاحبه ليلَ مساء ويدعون على مَنْ قتله ليلَ مساء .

والجزاء من جنس العمل .

وأخيرا ، وأي ذلٍّ تناله أيها الداعي إلى القومية العربية في الدنيا فوق هذا .

عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمعتموه يدعو بدعوى الجاهلية فأعضوه بهنِ[1] أبيه ، ولا تُكنُّوا »[2] .

وَأَدُوا الشريعة في سدى قوميةٍ خوفيـــةٍ روميـــةِ التِّبيـــان

يقول الشاعر :

---

(١) أير أبيه ، ولا حرج في دين الله ، فهذا ذل وتبكيت .

(٢) حديث حسن : رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، وحسنّه مقبل الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١ / ٢٩ - ٣٠) .

فلا تعجب إذا اضطربت خطانا وساوَمَنا على الأمجاد وغدُ
عروس جُلّلت بثياب حزنٍ وطاف بها على الشارين عُبْدُ
مراكبها تُسيّر في بحارٍ ولا هدف على الشطآن يبدو
إذا لم يحكم الإسلام قومي فمهدك أيها المولودُ لحدُ

○ حمزة البسيوني ○

قائد السجن الحربي من سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٦٥ .

يقول فيه القرضاوي وا في اسجنه :

هذا هو الحربي معقل ثورة تدعو إلى التحرير والتكوين
فيه زبانية أُعدوا للأذى وتخصصوا في فنه الملعونِ
متبلدون عقولهم بأكفهمْ وأكفهمْ للشرِّ ذاتُ حنينِ
بالرجل بالكرباج باليد بالعصا وبكل أسلوبٍ خسيسٍ دونِ
لا يعبأون بصالحٍ ولو انه في زهد عيسى أو تُقى هارونِ
لا يرحمون الشيخ وهْو محطَّمٌ والظهر منه تراه كالعرجونِ
لا يشفقون على المريضِ وطالما زادوا أساهُ بقسوةٍ وجنونِ
كم عالمٍ ذي هيبة وعمامةٍ وطِئوا عمامته بكل مجونِ
لو لم تكن بيضاء ما عبثوا بها لكنها هانت هوان الدينِ
من ظن قانونًا هناك فإنما قانوننا هو حمزة البسيوني
جلّاد ثورتهمْ وسوط عذابهمْ سموه زورًا قائدًا لِسجونِ
وجه عبوسٌ قمطريرٌ حاقدٌ مستكبرُ القسمات والعِرْنينِ
في خده شجّ ترى من خلفهِ نفسًا معقدةً وقلب لعين[1]
متعطش للسوء في الدم والغِ في الشرِّ منقوع به معجونِ

---

(١) الراجح من مذهب أهل السنة والجماعة عدم نسبة المعين إلى اللعن ما دام في دار الدنيا ، ولا يعلم أحد بِمَ خُتم له بالإسلام أم بغيره .

ومن اشتكى الظلم وآثار التعذيب في المحاكم الصورية :

سيعود للحربي يأخذ حظَّه وجزاءَه الأوفى من البسيوني

ويقول القرضاوي :

أنا إن نسيتُ فلستُ أنسى ليلةً في ساحة الحربي ذاتَ شجونِ
عدنا المساء من المحاكمة التي كانت فصول فكاهة ومجونِ
ما كاد يعرونا الكرى حتى دعا داعي الردى وكفاك صوت أمينِ[1]
وإذا بقائدنا المظفر حمزة في عسكرٍ شاكي السلاح حصينِ
حشد الجنودَ وصفّها بمهارةٍ وكأنه عمرو بأجنادينِ
وأحاطنا ببنادقٍ ومدافعٍ فغرت لنا فاها كفي التنينِ
طابور تكدير ثقيل مرهق في وقت أحلام وآن سكونِ
نعدو كما تعدو الظباءُ يسوقُنا لَهَبُ السياطِ شكتْ من التسخينِ
ومضتْ علينا ساعتان وكلنا عرق تصبّب مِثل فيضِ عيونِ
من خرّ إغماءً يفقْ عَجَلًا على ضربات صوت للعذاب مهينِ
ومن ارتمى في الأرض من شيخوخةٍ أو علّةٍ داسوه دَوْس الطينِ
لم يكفِ حمزةَ كلُّ ما نُوِّنا به من فرط إعياءٍ ومِنْ تهوينِ
فأتى يوزع بالمفرَّق دفعةً بالسوط من عشرين للخمسينِ
كلٌّ ينالُ نصيبه بنزاهةٍ في العد والإتقانِ والتحسينِ
وإذا نسيتُ فلستُ أنسى خطبة ما زال صوت خطيبها يشجيني
إذ قال حمزة وهو منتفخٌ فَلَمْ يترك لفرعونٍ ولا قارونِ
أين الألى اصطنعوا البطولة وادّعَوْا أني أعذبهم هنا بسجوني ؟!
أظننتمو هذا يخفف عنكمُ كلَّا فأمركمُ انتهى وسلوني
أم تحسبون كلام ألفٍ منكمُ عنكم وعن تعذيبكمْ يثنيني ؟
إني هنا القانون أعلى سلطةٍ من ذا يحاسب سلطة القانونِ

---

(١) أمين السيد رقيب أول السجن الحربي ، كانت في يده سلطات مطلقة ، ويستطيع أن يعذب إلى حد الموت ، وكان يرى نفسه كأنه أحد قادة الثورة .

متفرد في الحكم دون معقبٍ من ذا يخالفني ومن يعصيني ؟
فإذا أردتُ وهبتكم حريةً أو شئت ذقتم من عذابي الهونِ
من منكمُ سامحته فبرحمتي وإذا أبيت فذاك طوع يميني
ومن ابتغى موتًا فها عندي له موتٌ بلا غسل ولا تكفينِ !!

هذا الزنديق ؛ قال مرة للإسلاميين أثناء تعذيبهم : هاتوا لي ربكم وأنا أضعه في الحديد .. أحطه في زنزانة .

فماذا كان جزاؤه ؟

أماته الله شر ميتة ..

حيث صدم بسيارته شاحنة كبيرة من الخلف محملة بأسياخ الحديد ، فدخلت الأسياخ في جسمه ، وأخذ يصيح ، ولا منقذ ، واجتمع الناس من حوله في طريق الإسكندرية – القاهرة[1] .

جزاءً وفاقًا .. حديد بحديد .

والجزاء من جنس العمل .

ولعذاب الآخرة أشد وأنكى .

○ صاحب الكامب ○

في يوم عرفة عام ١٣٩٧ هجرية السبت في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧ تحرك أحد أفراد هذه الأمة إلى أرض فلسطين المغتصبة ، والتقى في موكب من الحفاوة مع شعب صهيون[2] .. ؛ ليخدع من يخدع بسلام الذلّ .

مَضَيْتَ ! وأشلاءُ الأباةِ تَبَعْثَرَتْ وَدُنْيا المروءاتِ اسْتَذَلَّتْ لفاجرِ

---

(١) انظر التعليق على ديوان نفحات ولفحات للقرضاوي .

(٢) من ديوان الأرض المباركة ، لعدنان النحوي .

مَضَيْتَ وإنْ كادتْ خُطاكَ لتَسْتَحي   وتَرْجعُ عن غَيّ الذليلِ المكابرِ

فأقحمتها هَوْلَ الدّنايا وصَفَّقَتْ   إليكَ أكُفُّ السَّاقِطَاتِ الفواجِرِ

تمرُّ على الأمجادِ رِعْشَةُ ذِلَّةٍ   فَتُغْمِضُ من أَجْفَانِها والمَحَاجِرِ

وتُغْضِي وأصداءُ الجِراحِ حبيسةٌ   تموتُ على أصداءِ طَعْنَةِ غادِرِ

أأشْفَقْتَ أنْ تَبْقَى ثُكَالَاكَ بالأسى   ودمع اليتامى بين خَدٍّ وناظرِ

وما أشْفَقَتْ صهيون كلُّ ربوعِها   ثكالى وأيتام وفيض مجـازرِ

فيا حسرتاه كيف لم يُشْفِقِ النُّهى   على شَرَفٍ دامٍ وعرضٍ حرائرِ

على القُدْس جلبابُ الظلامِ يلفُّها   وأمجادُها منشورةٌ كالجواهـرِ

على كل شبرٍ من فلسطينَ لم يَكُنْ   سوى نفحاتٍ من أبِيٍّ وصابرِ

سوى خفقاتِ الوحي يُندى رُبُوعَها   ويسكبُ من فَيضٍ وتَهمي بعاطرِ

على أمَّةٍ ما أخرجَ اللهُ مثلهَا   إلى الناس أنوارًا وطيبَ مآثرِ

فما كان إبراهيمُ إلا مصدِّقًا   بأحمدَ بَرا عاطرًا بالبشائـرِ

ورتَّلَهـا داودُ نفـحَ نُبُـوَّةٍ   ورَجَّعَ تَحْنَانًا وخَفْقَ مَزَامِـرِ

وصانَ سليمانُ الحكيمُ أمانـةً   لأحمدَ يُوفيهَا نَديَّةَ شَاكِـرِ

أولئك ما ساسوا الديارَ بِعِرْقِهم   ولا ملكوهـا جاهليـةَ سادرِ

ولكنها كـانت صَفِيَّ أمانـةٍ   وعهدًا يُؤَدَّى بَعْدَ حينٍ لقادرِ

ورَفَّت على عيسى النبوةُ والتقت   على ساحةِ الأقصى شُغوفُ بصائرِ

فأَمَّهُمُ المختارُ أحمدُ سيِّـدًا   ليجمع من ماضٍ زكي وحاضِرِ

ويُمضي على الأيام دعوة ربِّهِ   جهـادَ ميامـينٍ ونفـح أزاهـرِ

وتتصل الأزمانُ بينَ طيوفِهـا   نبـوةُ إسلامٍ وصدقُ أواصرِ

ويصبح للإسلام مُلكُ ربوعِها   وعهدًا أمينًا لا يُرَدُّ لفاجـرِ

فذلك إرثُ الأنبيـاءِ ديارُهـم   مرابع توحيـدٍ وخَفـقُ منابـرِ

* * *

فوا أسفا أن ضيع العهدَ جاهلٌ   وغيبّه في سادراتِ الدياجـرِ

ومـزقَ ميثـاقَ النبـوةِ كُلهـا   وألْقَى به كبْرُ الشقِيِّ المغامرِ

رَحَلْتَ وفي كفيَّكَ غصةُ أمةٍ ... وأشلاءُ تاريخ وبَحّةُ زاجـرِ
حملتَ لهم غُصنًا فأين اخضرارُه ... وقد ذَوَّبَتْهُ قانيـاتُ الجرائـرِ
وأي هَدِيلٍ للحمامِ إذا نَزَتْ ... عليه شِفَارٌ من وَميضِ البَوَاترِ
وأي سلامٍ تَرْتجيه إذا انحنتْ ... على قدمٍ هامٌ ورعْشَةُ صاغرِ
فَبِعْتَ لهم دارًا وأَيْكًا وساحةً ... وملعبَ أمجادٍ وحرقةَ صابرِ
وبعت لهم شعبًا وتاريخَ أُمَّةٍ ... وزهوًا تهاوى تحت نَزْوةِ خائرِ

* * *

فأيّ يدٍ صافحتَ ؟! ملءُ بطونِها ... مذابحُ أدمتْ كلَّ قلبٍ وخاطرِ
أَكفَّ مَنَاحِيم ؟! أظافِرَ ثَعْلَب ... ومديةَ جَزَّارٍ وحِقْدَ مُجَاهِـرِ
أصافَحْتَها ؟! والرِّجْسُ بَيْنَ عُرُوقِها ... تدفّق أمواج الخَطَايا الزواخِرِ
تصافَحْتُما والدّيْرُ مازال نازِفًا ... على غاضب بين النجيع وفائِرِ
تصافحتما ؟! بين ابتسامة مجرمٍ ... عَتِيٍّ وكيدٍ من غويٍّ مُحَاذِرِ
فيا ديرَ ياسيـنٍ أطِـلَّ بلَعْنَـةٍ ... تزلزل أقـدامَ الطغـاةِ الجبابـر
فيأيها الأقصى أنينُكَ مُوجِـعٌ ... حنينُكَ أصداءُ العصورِ الغوابر
وشوقُك ذوبُ الخالياتِ من الرؤى ... لِرَنَّـةِ أنصال وَوَقْـعِ حَوَافِـرِ
وخفقةِ رايـاتٍ وعِـزَّةِ فاتـحٍ ... يموجُ صداها في دويِّ الحناجرِ
عَصَرْتَ غَنِيَّ الذكرياتِ بدمعةٍ ... على هُدُبٍ تُغْضِي ونَوْح سَرَائرِ
فيا عمرُ الفاروقُ أين صدى الخُطَى ... إلى المسجد الأقصى وإشراقُ زائرِ
وأين طيوفُ المجدِ حولك والتُّقَى ... وأنداؤه رَفَّتْ على كلِّ زاهِرِ
تواضعتَ ما غَضَّ الإباءُ جفونَه ... عَدَلْتَ فما ذَلّت طُيوف منائرِ
وَهَبْتَ وما ضَيَّعْتَ حَقًّا لخالقٍ ... عَفَوْت وفي كفيك عِزَّةُ ظافرِ
وجَمَّعْتَ أشتاتَ الأمانة كلها ... ونظمتها عِقْدًا كريمَ الجواهرِ[1]

---

(١) ديوان الأرض المباركة وقصيدة بعنوان رحلة ص١٩٥ - ٢٠١ والديوان لعدنان النحوي ، المكتب الإسلامي.

ويقول شاعر آخر :

يا لعــارٍ أنت عنــوانٌ لـــه   في رُبا الأقصى تحيّي المجرمَا
أيها الذاهلُ ماذا قد دهــاكَ   تمنحُ الأعداءَ روحًـا ودمًـا
كيف ترضاه إخاءً خـاسرًا   تزرعُ الشوكَ ، ونجني العلقما(١)

وفي كامب العار ، وفي مستنقع الكامب تم سلام الذل ، ويا للسخرية ، حين يشبهونه بصلح الحديبية !! الذي سماه الله فتحًا مبينًا ، فأي خداع للمسلمين وأي سخرية فوق هذه ؟

الذي تطاول استكبارًا كيف يتمرغ هنا في وَحْل الكامب ؟!!

كـلُّ ساداتِـهِ مطايـا عبيـدٍ   راضها السوطُ تحت شدِّ الرحالِ
أين يا كامبُ هل رأيت رجالًا   حملتْ فيكَ خصلةً من رجال
الليالي الحمراءُ لم تُخْفِ سُودًا   من نفوسٍ وظلمةٍ من فعالِ
الذليل الذي يقود خطاهـا   بين عضِّ الحديدِ والأثقـالِ
بين بيجن وكرترٍ رعشةُ الخو   فِ رمته وذِلّةٌ مـن سؤالِ
بعْثُكُم نفحة البراق وهذا القد   سَ ونفحَ العصورِ والأجيـالِ
وطيوف التاريخ والشرف الحـقَّ   وزهــوَ الجهــاد والآمــالِ
والميادينَ والقنـا ودِمَـاءً   فجّرتهـا أسنّـةُ الأبطـالِ
كلُّ صوت قَتَلْتُهُ في حلوقٍ   رجفت بين بَحَّةٍ وابتهـالِ
فضعوا في فمي الكلامَ لعلّي   أصنع السِّلمَ من بديعِ مقالِ
إن خلفي كما علمتم شعوبًا   بين آذانها قلوبُ الرجـالِ
أين هذا السلام يصنع فيه الْـ   ـمَوتُ والشركُ رعشةَ الإذلالِ
والشياطينُ تنفثُ الشرَّ فيـه   نافـراتٍ بمكرهـا القتّـالِ
والخفافيش بين تلك الزوايـا   راعشاتٌ يَخْفِنَ ومضَ نصالِ

---

(١) في رحاب الأقصى يوسف العظم ص٢٦٨ ، طبع المكتب الإسلامي .

يا عـدوَّ السلام أيُّ سلام ترتجيـه هنـاك أيُّ نـوالِ
نفـرت روحُـك الخبيثـةُ للـذُّلِّ علـى مرتـع وخيـم بالـي
مرتعِ الكفرِ حين واليت أعدا ءً وأدبـرتَ سادر الإدلالِ

ولما عارضه الأحناف استكبر وعتا ، وتوعدهم وتهددهم ... بل وسخر من سنن الإسلام ، فيصف النقاب بأنه : خيمة .

ويهـزأ بالحرائـرِ بالنِّقـابِ وقـد لَبِسَتْـهُ أمُّ المؤمنينـا
فلستم للنقَابِ وليس مِنْكُـمْ فذا شرفٌ لسَكَنِ الطاهرينـا
وما عرف العفافُ لكمْ طريقًا وفاح الطهر من بيت السجينَا

عتا وعتا ، وسخر من الدعاة ، ونادى نفسه برب العائلة .

لئن قالها الطاغوت ربٌّ وعائل فقد قالها فرعونُ ربكمُ الأعلى
فما الفرق بين القالتين كما ترى سوى بين أعلى عائل فارجع القولا

وفتح السجون على مصراعيها ، وقذف في أتونها بالدعاة والشباب ، وكم أبكى عيون أمهات في يوم التروية ، فأبكى الله عيون بنيه في يوم العيد ، والجزاء من جنس العمل .

مكر بالناس فى سلامه المزيف ، فمكر به وهو في يوم زينته ووسط حشوده وعتاده ، آمنَ ما يكون ، هذا الذي تطاول ذلّ ، والجزاء من جنس العمل .

سَجِّلْ بكفكَ في القرطاس ما كتبتْ كِلْتَا يديك به أمسيت مرهونًا

يقول الشاعر :

ماذا تقول إذا سُئلت عن الأُلَى ضيّعت مجدَهُمْ بكامبِ العارِ ؟
ماذا إذا الملكانِ قال كلاهما مَنْ عطّل التشريعَ في الأمصارِ ؟
ماذا إذا الملكانِ قال كلاهما ماذا صنعت بشرعة المختار ؟
ما ذنب من قال الجهاد سبيلنا أَوْ ما جنايةُ قانتِ الأسحارِ ؟
ماذا جنى الطفل الرضيع تروعُهُ والباكيات ودَمْعُهن الجارِي ؟
كم فُزّعت أمٌّ بجرٌ وليدهـا جر الذبيحة في يد الجزارِ ؟

كم حرةٍ رِيعتْ بخطفِ حَلِيلها ؟ كم حرمةٍ ديست بكل حقار ؟
كم زائرٍ في الفجر روّع آمنًا ؟ ما أقبح السفهاء من زوّار!
أوليس للدور المصونة حرمةٌ في شرعةِ الأنـذالِ والأشرارِ؟
كم محنة يا مصر قد عاينتها من طيش مجنون وبطش تتارِ ؟
نبشوا بيوت الصالحين ودورهم عبثـوا بكـل صحيفــة وإزارِ
كادوا يشقون القلوب ليعرفوا بين الشغافِ مواطـنَ الأسرارِ

وكم تكلم في أعراض الناس بالباطل ، واتهم العفيفات من المنتقبات ، فجوزي بنقيض قصده ، وتكلموا فيه وفي عرضه ، وصار مادحه ذامًّا في نفس جرائد إعلامه ، والجزاء من جنس العمل .

* * *

○ قصيدة ○

ويقول الشاعر :

لئن قالها الطاغوت ربٌّ وعائلٌ — فقد قالها فرعون ربكمُ الأعلى
فما الفرق بين القالتين كما ترى — سوى بين أعلى عائل فارجع القولَا
وما الفرق بين المصرعين كما ترى — سوى بين غرقى كلهم سكن الوحْلَا
فهذا أسيرُ الجزر والمد والعصا — ودعوة مظلوم قد انسربت ليلَا
وخيـلٌ غريـقٌ يستـجير بربِّـه — ورُبَّ غريقٍ مات يستنجدِ الخيلَا
أأم جميل[1] ما على الدهر عاتبٌ — فيومًا لنا العليا ويومًا لنا السفلىٰ
ويومًا[2] نهزّ العرش عزمًا وعزّة — ويومًا نروم القاعَ نلتمس الظلّا
ويومًا يذيقُ الله فرعونَ نعمةً — ويوما يذيق الله فرعوننا الذلا
ولم يزلِ الإسلام تمضي ركابُه — وما زال دينُ الله دومًا هو الأعلى

* * *

---

(١) لا نحكم على معين بالكفر إلا بعد قيام الحجة عليه من قبل عالم ممكن ، ولكن نشبهها بها في شناعة ما جاءت به .

(٢) أيام أن كان كبار الرجال ينحنون أمامها ثم دار الزمان وتغير الحال .